وبلغ جواد باشا حاكم قنديا أهلها المسلمين بأن الجنود العثمانية لا تخرج من كريت اجابة لطلب الدول

وما كان ربك ليهلك القرى

(بظلم وأهلها مصلحون) (*)

توالت الفتن على الممالك الشرقية وأوغلت الدول الفاتحة في بلادها ، وولغت في أحشائها بعدما نقصتها من أطرافها ، واستدرت بالتجارة اخلافها ، تفنن الطامعون بها في اطماعهم ، ولونوا الفتوح والامتلاك بالوان كثيرة ، منها مايزعج مظهره وتفزع رؤيته ، ويخشى مخبره وتحذر مغبته . ومنها مايبهج منظره وتسر رؤيته . وتخدع غايته وتغر عقباه . ماهي تلك الالوان ؟؟ حماية رجال الديانة المسيحية . رعاية المصالح الخصوصية . وقاية البلاد من الاعداء . اصلاح البلاد ونشر المدنية فيها . الاحتلال الموقت لمعاهدات مخصوصة . الحماية . الاستئجار !!!

كل هذه ألفاظ لا معنى لها الا الاستيلاء والتملك بدون حرب ولا كفاح . وقد نجحت الدول القوية في هذه الحروب السياسية والفتوحات السلمية ، وكادت — لولا تنازعها — تستولي على جميع بلاد آسيا وافريقيا . على أن التنازع ما أوقف تسيارها ولا صد تيارها ، وقصارى ما فعل انه أطعمها الفريسة لقمة

(*) فاتحة العدد الحادي والثلاثين الصادر في ٢ جمادى الآخره سنة ١٣١٦

لقمة فأفادها بما أمنها من تعسر الازدراد وتعذر الهضم اذا هي التهمتها مرة واحدة

هل تنبه الشرقيون لهذه القوارع التي تقع على رؤسهم، والصواخ التي تطرق آذانهم وأصابع الحوادث التي تكاد تفقأ عيونهم ؟ نعم قد تنبهوا وشعروا بالوجز الاليم ، وطفقوا يتململون كما يتململ السليم ، الا قليلا منهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون. نعم قد تنبهوا لمصابهم ولكن هل علموا بعلته وأسبابه ؟ كلا سوف يعلمون . ثم كلا سوف يعلمون. لو علموا السبب لاندفعوا الازالة العلة قبل استحكامها ومداواة الداء قبل الايداء (الهلاك) فلا بد من العلم قبل العمل (وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون) كيف يهلك الله الشعوب ويبيد الامم وكيف يديل من الدول دولا وينزع السيادة من قوم ويستخلف من بعدهم قوما آخرين ؟؟

يقول المسلمون ان الدين هو الذي كان سبب سيادتهم وسعادتهم، وان الاعراض عنه هو الذي اوقعهم في الشقاء وانزل عليهم البلاء. ويحتجون بآيات من الكتاب العزيز كقوله تعالى (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) وقوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) حقا قالوا ولكن اكثرهم يلهج بالقول عن غير فهم ولا بصيرة متوهمين ان في الدين سرا روحانيا غير معقول، يمد الآخذين به بالنصر والقوة، ويعطيهم الغلب بالخوارق والكرامات !! ويقول الناظرون في سير الانسان في زمانهم الحاضر والواقفين على تاريخه في الزمن الغابر: ان ضعف الامم وانحلالها وهلاك الشعوب وافتراضها وعزة الدول وامتناعها وسيادتها وارتفاعها كل ذلك جار على نواميس طبيعية وسنن الهية لا تتغير ولا تحور ولا تبدل ولا تحول وقد هدى الله بفضله النوع الانساني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النجدين ، وبين له الطريقين، فمن سار على طريق الترقي والسيادة مراعيا سنن الله تعالى فيهما وصل اليهما سواء كان مؤمنا ام كافرا، ومن سار على طريق التدلي والمهانة وحكمت عليه نواميسهما انتهى اليهما مؤمنا كان ام كافرا، فالدين لا أثر له في عزة الامم ولا في ضعفها واستكانتها والشاهد على ذلك ان جميع الدول الاسلامية اليوم ضعيفة ، ودولة اليابان الوثنية في أعلا درجات القوة والعزة ، بل ان الامم المتمدنة تعتقد ان الدين حجاب كثيف يحول دون الارتقاء لولا ان مزقته لما لاح لها نور العلم بطرق السعادة، وقيد ثقيل لولا ان فكوه لما أمكنهم الايجاف والايضاع والتوغل والارتفاع، ولظلوا يرسفون رسفان {مشي المقيد} من لا تزال القيود في أرجلهم والاغلال في أعناقهم . ومن رأي هؤلاء ان العقبة الكبرى في طريق تقدم الدول الاسلامية هو الدين الاسلامي نفسه، وانهم اذا مرقوا منه رجي لهم اتباع خطوات اوربا وتقدموا كما تقدمت!!.

من كان مبغضا للمسلمين من هؤلاء يسجل عليهم الضعف والانحطاط بل يعدهم بالحمام والموت الزؤام. ومن يحب المدافعة عنهم لامرٍ ما يقول ان فيهم قابلية للنهوض والترقي والاخذ بأساليب المدنية الجديدة التي سادفيها غيرهم، مستدلا بأن الحكومة المصرية مثلا لا تأبى قبول أي عمل تأتيه الحكومات الاوربية حتى اباحة الموبقات من السفاح والسكر ونحوه ، لكن الشعوب الاسلامية لجهلها لا تجاري حكامها التي نزعت الى الاصلاح الاوربي، ولذلك يحكم علماؤها بكفر الآخذين بالتمدن الاوربي من حاكم ومحكوم، فدليل الترقي (وهو تقليد أوربا على رأيهم) هو عندئذ الشعوب دليل على الانحطاط والتدلي لانهم يعتقدون ان التقدم محصور في التمسك بالدين والجري

على آثار آبائهم الاولين، فيجب على الحكومة تعليمهم وتنبيههم ليساعدوها على الاصلاح والا تعذر النجاح واستحال الفلاح

هذا ملخص مايقوله فينا المتمدنون، ويكتبه في سياستنا الكاتبون، وقد اشتبه على الدهماء منا حقه بباطله، ورأى فيه المنحرفون شبهة على بطلان الدين، وهبوطه بالآخذين به الى أسفل سافلين، لان من المشهود الذي لايمكن انكاره ان المسلمين أمسوا أفقر الامم وأكسلها وأجهلها ودولهم باتت أضعف الدول وأظلمها

ولا فرق بينهم وبين جيرانهم يضاف اليه هذا التقهقر والانحطاط الا في الدين فلا جرم ان الناظر في طبائع الملل يضيف ذلك اليه ويقرنه به واننا نكشف الغطاء عن تحقيق الحق في المسألة لينجلي الصبح الذي عينين فنقول :

قول المسلمين ان الدين هو الذي كان سبب سيادتهم وسعادتهم وان خسران تلك السيادة والسعادة انما جاء من الانحراف عن هديه صحيح، وقول القائلين ان الله تعالى قد جعل لارتقاء الامم سننا حكيمة من سار عليها فاز ومن تنكبها خسر مهما كان دينه — صحيح أيضا، وقد صرحنا بمثله غير مرة (انظر العدد ١٥ من المنار) وقد غالى كل فريق في رأيه فزعم المسلمون ان الانتساب للدين فيه أسرار غير معقولة تعطي أصحابه قوى غيبية تكون بها غلبتهم على من سواهم، وزعم الآخرون ان الدين لا أثر له في الاسعاد بل هو موقع لا ريب فيه في الشقاء، فأفرط الغالون وفرط المارقون، اغترارا بأولى المسلمين، وآخرة الاوربيين، ولم تخرج سيادة المسلمين في أول نشأتهم عن نواميس الكون الا ماأمد الله به نبيه (صلى الله تعالى عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسلم) عند ضعف المسلمين وجهلهم بالمعونة الربانية زيادة عن المحافظة على السنن العامة وتلك سنته تعالى مع أنبيائه . ألم تر كيف كان الظفر كاملا والتأييد شاملا في غزوة بدر ووقعة الاحزاب ونحوهما مع قلة المسلمين وضعفهم ، ويوم حنين اذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا وولوا مدبرين ؟ وكيف انكسروا في واقعة أحد لاخلالهم بالسنة الالهية وهي طاعة الرئيس بالحق . وأما أوربا فان الدين لم يكن صادا لها عن التقدم الا بما زاد عليه الرؤساء من المنع عن النظر في نواميس الكون وسائر الفنون العقلية وسلب الاستقلال في الارادة والرأي ، والحرية في القول والعمل ، بحجة الدين . فلما اهتدى القوم الى هذا بما اقتبسوه من الاسلام في حروبهم الصليبية أقاموا في ضوئه أساس مدنيتهم ، ولما أحسوا بلذة المدنية طفقوا ينسلون من الدين الذي كان مانعا لهم منها ، ولكن نبذ الدين رماهم بشرور ستضطرهم الى الرجوع الى الدين يوما ما ، لأن كمال البشر لا يتم الا به كما قال ، وعلى الوجه الذي بينه أستاذنا في رسالة التوحيد

والاعتدال في مسألتنا التي نريد أن نبينه هو أن الدين الاسلامي دين الفطرة لما كان مرشدا الى سعادة الدنيا والآخرة مما بيّن للناس أن لله في خلقه سننا حكيمة لا تبدل ولا تحول ، وهداهم الى السير عليها ، وشرع لهم من الاحكام ما إن تمسكوا به لن يضلوا عن طرق السعادة أبدا ، ومن السنن التي بينها القرآن بيانا كافيا وكرر القول فيها سنته تعالى في اهلاك الامم وسقوط الدول ، قال تعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) وقال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال تعالى (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون)

وبيّن تعالى ان الظلم اذا وقع في أمة يعمها العذاب وان لم يواقع الظلم جميع افرادها فقال (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا ان الله شديد العقاب) والآيات الناطقة بأن الظلم مؤذن بهلاك الامم وفساد العمران كثيرة جداء وتقابلها الآيات المبينة أن التقوى والصلاح والاصلاح والعدل ونحوها من صفات الكمال واقية من حلول البلاء، وسبب لزيادة النعماء، وهي كثيرة ايضا منها (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) الصالح في عرف المسلمين من يقوم بحقوق الله وحقوق العباد، وقال الشيخ الاكبر قدس سره: المراد بالصالحين هنا الذين يصلحون لعمارتها وادارة اعمالها، ومنها (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)

وقد صدرنا هذه المقالة بآية كريمة وموعظة حكيمة وهي (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) قوله تعالى وما كان ربك الخ معناه ما كان من سأنه ذلك ولم تجر سنته به، فكل آية مصدرة بذلك فهي قاعدة عامة تنبيء عن سنة ثابتة، وفسر الظلم في الآية بالشرك وهي نص على أن اصلاح الناس فيما بينهم مانع من اهلاكهم وتسليط الاعداء عليهم وان كانوا مشركين بالله تعالى، وفيها دليل على ان الايمان بالله من غير اصلاح الاعمال وعدل العمال لا يمنع الاهلاك، ويؤيده قوله تعالى (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وتأمل قوله كما استخلف الذين من قبلهم ففيه اشارة الى ان سنته تعالى واحدة وأما آية (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فيحمل الاطلاق فيها على التقييد في الآيات الكثيرة أو يراد بالتعريف التعظيم، والمراد المؤمنون الكاملون الذين يقومون بحقوق

الايمان، على ان الايمان يطلق كثيرا على التصديق، والعمل الصالح معا، والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة، ومنها ماورد: ان الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق.

أرشد الدين الاسلامي الى السنن الالهية وأمر بالنظر في الكون والتفكر والاعتبار، وفصل ماتمس اليه الحاجة، وهدانا الى ان لكل عمل أثرا لا يتعداه، وأن الاسباب مربوطة بمسبباتها وكل سبب يفضي الى غاية، والامور الدنيوية لا يمنعها الله عن طلابها اذا أتوا البيوت من أبوابها، والتمسوا الرغائب من طرقها وأسبابها، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، وانما الايمان شرط للمثوبة في العقبى وكمال السعادة في الدنيا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا). بهذا كان الدين الاسلامي سببا في سعادة ذويه وسيادتهم عند ما كانوا مهتدين بهديه ومتمسكين بحبله، لا بأسرار خفية وأمور غير معقولة. لكن جهل المسلمين بتعاليم دينهم أفضى بهم الى التفرق والانقسام والميل مع الهوى، وجهلهم بحالة العصر زادهم عمها وحيرة في الدين والدنيا. ثم لما اتصل بعض أمرائهم وحكامهم بالاوربيين رأوا أنفسهم مضطرين الى مجاراتهم وموافقتهم فقلدوهم عن غير بصيرة، فكانوا بذلك عونا لهم على أنفسهم، فازدادوا من الامة بغضا على بغض الظلم والفسق، وعجز العلماء والفقهاء عن هدايتهم الى تعاليم الدين الموافقة لروح العصر لعدم وقوفهم على حالة العصر، على أن الباحثين عن هذه التعاليم نفر قليل في كل قطر، ولا يكادون يتسامون الى مراتب الامراء والسلاطين، والمتصدرون جهلاء، وعن الاصلاح بعداء، الجماهير منهم مشغولون بالمباحث اللفظية وأساليب الكتب وخلاف الفقهاء، والمدعون

الارشادلام لهم الا المفاخرة بالانساب ، ومناهضة بعضهم بعضاً حسدا وغواية ، وخداع العامة بأنهم في قصورهم واجدادهم في قبورهم متصرفون فى الا كوان !! يشقون ويسعدون ويفقرون ويغنون ويحلون ويعقدون ويحيون ويميتون ويوم القيامة يشفعون فيشفعون (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لأنهم مضلون يقولون على الله الكذب وهم يعلمون

فهؤلاء رؤساؤنا من الحكام والعلماء والمرشدين، هذه أحوالهم يشكو بعضهم من بعض، ولا يهتم أحد منهم الا بتحصيل رغائبه ، ونكاية مُناصبه، وقد ضاعت الامة فيما بينهم – ضاع دينها باهمال التعليم والارشاد، وضاعت دنياها بترك العدل في البلاد (فصب عليهم ربك سوط عذاب * ان ربك لبالمرصاد) . وأي عذاب أشد من سوء الحال ، وضياع الاستقلال ، وانتزاع ممالكهم من أيديهم ولا حرب ولا قتال . فاذا ادعوا انهم على الاسلام فأين آثاره التي تدل عليه؟ واذا اعترفوا بالانحراف عنه فليرجعوا اليه ، والا فليتنظروا من الامر ماهو أدهى وأمر، وأنكى وأضر، ولنا الرجاء بان المسلمين قد تنبهوا من رقادهم ، وطفقوا يرجعون الى رشادهم، وذلك بتعميم التربية والتعليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسالة الحاسد والمحسود

(للجاحظ)

منقولة عن نسخة بخط علي بن هلال الكاتب الشهير

(تابع ما قبله)

وكيف يصبر من استقر الحسد في قلبه على أمانيه ، وقد كان أخوة يوسف علماء حلماء ولدهم الانبياء فلم يغفلوا عما قدح في قلوبهم من الحسد بيوسف صلى الله عليه وسلم ، حتى أعطوا أباهم المواثيق المؤكدة ، والعهود المقلدة ، والايمان المغلظة ، أنهم له حافظون ، وهو شقيقهم وبضعة منهم ، فخانوا العهود ، ووثبوا عليه بالظلم فألقوه في غيابة الجب ، وجاؤا على قميصه بدم كذب ، فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم طمعاً أن يخلو لهم وجه أبيهم ويتفردوا بحبه ، وظنوا أن الايام تسليه ، وحبه لهم عن بعده عنه يلهيه ، فأسالوا عبرته وأحرقوا قلبه . وكيف لا تقر عيون المحسودين بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الارض بصبره على أذى حساده ، ومقاصته اياهم بالعفو والمكافأة وحسن العشرة والمؤاخاة ، بعد امكانه منهم لما أتوه مختارين ، ووفدوا عليه خائفين ، وهم له منكرون ، فأحسن وفدهم وأكرم قرامهم ، فأقروا له لما عرفوا بالاذعان ، وسألوه بعد ذلك الغفران ، وخروا له سجداً لما قدموا عليه وفداً

فاذا أحسست — رحمك الله — من صديقك بالحسد فاقتل ما استطعت

من مخالطته ، فانه أعون الاشياء لك على مسالمته ، وحصن سرك منه تسلم من شذاة شره وعواتق ضره ، واياك والرغبة في مشاورته ، فتمكن نفسك من سهام مساورته ، ولا يغرنك خدع ملقه وبيان زلقه ، فان ذلك من حبائل ثقافه ، فان أحببت أن تعرف آية مصداقه فدس له من يهجنك عنده ويذمك بحضرته ، فانه سيظهر لك من تشييبه لك ما أنت به جاهل ، ومن خلاف المودة ما أنت منه غافل ، لهو ألج في حسده لك من الذباب وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور ، وما أحب ان تكون عن حاسدك غبياء ولا عن فهمك بما في ضميره نسيا الا ان تكون للذل محتملا وعلى الدناءة مشتملا ولاخلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهباً أو تكون بك اليه حاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أرادك غرضا ولو نلت بذلك كنوز قارون لم يكن ذلك مما بذلت عوضا وقد قيل على وجه الدهر « الحرة تجوع ولا تأكل بثديبها » . وربما كان الحاسد المصطنع اليه بالمعروف اكفر له وأشد اجتهاداً وأكثر تصغيراً لذاك من أعدائه . وكان الحسن بن هانىء يرتع على مائدة اسماعيل الهاشمي وكان من المطعمين للطعام المسرفين فعارض الحسن بن هانىء يوما بعض أصحابه فقال له من أين ؟ فقال له من عند اسماعيل فقال له ما أطعمكم ؟ فقال اطعمنا دماغ كلب في قحف خنزير !! فلم يكن منه هذا القول الا على وجه الحسد ولم يسلم منه مع كثرة انسه به وكثرة سببه اليه حتى احتشد واحتفل في الذم له والتهجين لطعامه ولولا شدة ورع ابن سيرين وصدق لهجته لم يكن قوله فيما قال وأخبر عن نفسه من اطراح الحسد عن قلبه مرويا عنه وعند ذوي العقول معجبا حيث قال :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماحسدت أحداً على شيء ان كان من اهل الجنة فاحسدي لرجل من أهل الجنة ؛ وان كان من أهل النار فما حسدي لمن يصير الى النار ؟

ومتى رأيت حاسداً يصوب لك رأيا وان كنت مصيبا ؟ أو يرشدك الى صواب وان كنت مخطئا ؟ أو نصح لك في غيبه عنك أو قصر في عيبه لك ؟ ؟ هو الكلب الكلِب والنمر الحرب والسم القشب والفحل القطم والسيل العرم ان ملك قتل وسبا وان ملك عصى وبغى حياتك موته وثبوره وموتك عرسه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور ويكذب فيك كل عدل مرضي لا يحب من الناس الا من يبغضك ولا يبغض الا من يحبك . عدوك بطانته وصديقك علاوته وانك ربما غلطت في امره مما يظهر لك من بره ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى وكنت في مذاهبك فطنا نقابا ولم تكن في عيب من أوضح لك عيبه مرتابا لاستغنيت بالرمز عن الاشارة وبالاشارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالخفض عن الرفع وبالاختصار عن التطويل وبالجمل عن التفصيل وأرحتنا من طلب التحصيل ولكن اخاف ان قلبك لصديقك غير مستقيم، كما ان ضمير قلبك غير سليم

انك غير سالم منه وان رفعت القذى عن لحيته ، وسويت عليه ثوبه فوق منكبه ، ولبست ثوب الاستكانة عند رؤيته ، واغتفرت له الزلة بعد زلته، واستحسنت كل ما يقبح من شيمه، وصدقته على كذبه ، واعنته على فجرته فما هذا العناء ؟ وماهذا الداء العياء؟ كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبة الله نبيه صلى الله عليه وسلم في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد اذا حسد ؟ اتطلب ويحك أثراً بعد عين ؟ او عطراً بعد عروس ؟ او

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تريد ان تجني عنباً من شوك ؟ او تلتمس حلب لبن من حائل؟ انك اذاً لأعيا من باقل، وأحمق من الضبع، ان كنت تجهل بعد ما علمناك، وتعوج بعدما قومناك، وتبلد بعد ما ثقفناك، وتضل اذ هديناك، وتنسى لما ذكرناك، وتغبي عما فهمناك، وأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ، وعمي عن المنافع، فختم على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة، ونعوذ بالله من الخذلان، انه لا يأتيك ولكنه يناديك، ولا يحاكمك ولكنه يوازنك، أحسن ما تكون عنده حالا أقل ما تزيد مالا، وأكثر ما تكون عيالا، وأعظم ما تكون ضلالا، وأفرح ما يكون بك أقرب ما يكون بالمصيبة عهداً وأبعد ما تكون من الناس حمداً فاذا كان الامر على هذا فمجاورة الاموات ومخالطة الزمنى والاجتنان بالجدران ومص المصران وأكل القردان — أهون من معاشر مثله والاتصال بحبله . والغل نتيج الحسد ورضيعه، وغصن من أغصانه وعون من أعوانه، وشعبة من شعبه، وفعل من أفعاله، وحدث من أحداثه، كما أنه ليس فرع الا له أصل ولا مولود الا من مولد، ولا نبات الا بأرض، ولا رضيع الا له مرضع، وان تغير اسمه فانه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته، ورأيت الله جل ثناؤه ذكر الجنة في كتابه فخلاها بأحسن حلية وزينها بأحسن زينة، وجعلها دار أوليائه ومحل أنبيائه، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فذكر في كتابه ما منّ به عليهم من السرور والكرامة عند ما دخلوها وبوأها لهم فقال (إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين* ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين* لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين)

فما أنزلهم دار كرامته الا بعد مانزع الغل من صدورهم فبافتقاد الغل والحسد تهنوا بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر في مقابلة الوجوه بسلامة صدورهم ونزع الغل والحسد من قلوبهم، ولولم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة، ولتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا، وواقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب واعقبوا فيها الخروج، لأنه عز وجل فضل بينهم في المنازع ورفع درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات وسني العطيات، فلما نزع الغل والحسد ظن ادناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهدا أنه أفضلهم منزلا وأكرمهم درجة وأوسعهم داراً بسلامة قلبه ونزع الغل من صدره، فقرت عينه وطاب أكله، ولو كان ذلك لصاروا الى التنغيص في النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب ولحدثت فيهم العيون والذنوب، وماأري السلامة الا في قطع الحاسد ولا السرور الا في افتقاد وجهه، ولا الراحة الا في صرم مداراته، ولا الربح الا في ترك مصافاته، فاذا فعلت ذلك فكل هنيئا واشرب مريئا ونم رخيا وعش في السرور مليا، ونحن نسأل الله الجليل أن يصفي كدر قلوبنا ويجنبنا واياك دناءة الاخلاق، ويرزقنا واياك حسن الالفة والاتفاق. أحسن الله توفيقك والسلام

المناقشة السادسة

(من الشعب الاول من المقصد الثاني من كتابنا)

« الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية »

قد علم من الشاهد الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ان صاحب لباب المعاني جعل الشيخ القادري بأنه لا يفرق بين السحر والكرامة ولا بين أهلهما وذلك لانه قال ان أكل الحيات ودخول النار من السحر كما تقدم ، وقال ان قلب الخارقة بدعة منكرة من الضلال أو الكفر

أقول قد نقل جماهير المؤرخين ان الطائفة الرفاعية فشافيها بعد الشيخ احمد الكبير الرفاعي رحمه الله تعالى اللعب بالحيات وا كلها في الحياة اي من غير تذكية ولا طبخ، وتسلق النخل ونحوه من الاشجار والقاء انفسهم منها الى الارض، وركوب الوحوش البرية، ومن الناقلين لذلك من اثبت القول على غره ولم يتبعه باستقباح ولا استحسان ولا تخطئة ولا تصويب، ومنهم من صرح بتخطئتهم وكون اعمالهم هذه من البدع المنكرة في الدين كشيخ الاسلام احمد بن تيمية والحافظ بن كثير والحافظ الذهبي والفقيه المحدث العيني، نقل هذا الشيخ ابو الهدى افندي احد مشاهير ارباب الطريقة الرفاعية في عصرنا في الصفحة الثانية عشرة بعد المئتين من كتابه قلادة الجواهر، واطال المباحث فيه في عدة صفحات تلي الصفحة المذكورة، صرح في بعضها بنصوصهم ومن ذلك ما كتبه في صفحة ٢١٦ ونصه «وانظر قول الذهبي في تاريخه عند ذكر سيدي احمد الكبير الرفاعي رضي الله تعالى عنه وكان

المنتهى اليه في التواضع والقناعة ولين الكلام والذل والانكسار والازراء على نفسه وسلامة الباطن ولكن اصحابه فيهم الجيد والردىء وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم احوال شيطانية منذ اخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء اصحابه» اه بحروفه قلت ثم آخذ الحافظ الذهبي بمد نقل عبارته هذه بأنه قصر في ترجمة الرفاعي حيث لم يذكر كراماته التي منها دخول النار الى آخر ما ذكره الذهبي عن طالحي اتباعه ونفاه عنه وكذلك فعل غيره في صفحة ٢١٧ «انهم تصدروا لقلب الكرامة الى البدعة وجعلوها من الامور المنكرة لاجل الحسد — قال — وقالوا عند ذكر كراماتهم ما عرفها الشيخ ولا صلحاء اصحابه فكيف لا يعرفها وهي كراماته الباهرة »

قلت وعلى هذا جرى في كتاب لباب المعاني على ادعاء ان تلك الامور كرامات وان المنكر عليها حول الكرامة الى البدعة ورتب على ذلك القول بجهل الشيخ القادري مؤلف الفتح المبين والحكم بأن ذلك من الضلال والكفر فللشيخ القادري اسوة حسنة في ائمة دين الله عز وجل وحفاظ احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث طعن فيه هؤلاء الرفاعية بمثل ما طعنوا فيهم . والحكم الصحيح في المسألة ان بعض ما ينقل عنهم معصية قطعا باتفاق ائمة الاسلام كأكل الحيات حية وبعضها يحصل بالتعود والتمرن لكل من حاوله وزاوله كالقاء الرجل بنفسه من شاهق الى الارض وهو من الصناعات المستفادة بالتجربة وقد برع به الاوربيون منذ زمان عمرانهم واتسعت حضارتهم ومبناه على تحصيل ملكة حفظ الموازنة في كل حال من الاحوال التي يتقلبون بها في ألعابهم بحيث يتغلبون على

سلطان الوهم المعارض لمن يحاول مثل تلك الاعمال من غير تحصيل ملكتها هذا مايفهمه الفقير من التعليل على ذلك. والقائمون بهذه الصناعة مشاهدون في كل قطر وانما يكثرون حيث تكثر مواد الرفاهة باتساع العمران وكذلك اللعب بالحيات وأكلها يناط بالتعود كما هو ظاهر

وأما دخول النار والدنو من السباع الضارية فقد يكون كرامة وقد يكون حيلة وشعوذة وغير ذلك. ومعلوم ان علماء الدين يشترطون لكون الخارقة كرامة ان تصدر من ظاهر الصلاح سالك سبيل التقوى والرفاعية المشهور عنهم ذلك ليسوا كذلك كما هو مسطور في زبر الاولين والآخرين من العلماء بل وفي كتب هؤلاء الرفاعية المدعين لذلك قال العلامة المدقق شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني ما نصه « وما يشاهد من وقوع دخول النار لبعض المنتسبين الى حضرة الولي الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره من الجهلة الذين كادوا يكونون لكثرة فسقهم كفاراً فقيل انه من باب السحر المختلف في كفر فاعله وقتله فان لهم أسماء مجهولة المعنى يتلونها عند دخول النار والضرب بالسلاح ولا يبعد ان تكون كفراً وان كان معها مالا كفر فيه » ثم نقل عن العبر مثل ما تقدم عن الذهبي وذكر انه شاهد منهم من دخل النار وجعل يشرب الخمر فيها وقد أطال العلامة ابن أمير حاج في بيان ان هذه الامور الشيطانية لا تكون كرامة وليس فاعلوها بأهل للكرامة ولا أرى الشيخ القادري الا ناقلا عن هؤلاء الاجلة والبحريني نسب له ذلك توسلا وتوصلا للنيل من دينه وعرضه وان نقل عند أجوبته عن هذه الامور صورة استفتاء يقول فيه السائل ما ملخصه «ما القول في جماعة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يدخلون النار ويأكلون الحيات ويشربون السم ويفعلون أمثال ذلك من الاشياء المبتدعة الخارقة للعادة التي لم يتفق وقوعها في الصدر الاول والكثير منهم على غير الطريق المستقيم ؟ اه » ومضمون هذا مسلم عندهم وقد أجابوا عن ذلك بما لا يخلو عن نظر بل هو فاسد على الغالب وسيأتي بسط هذا المقام بتحرير الايرادات والاجوبة وتمييز الحق من الباطل ونقول العلماء في ذلك في المقصد الخامس ان شاء الله تعالى وقد اشترط الشيخ أبو الهدى افندي في صفحة ٣٩ من كتابه هداية الساعي المرخصة في عمل هذه الاشياء (اللعب بالنار والدبوس والحيات وأكلها) « أن يكون لازالة انكار كافر على الدين بشرط أن يؤمن بعد ذلك قال والا فلا رخصة في عمل شيء منها قطعا وان من اشتغل بها آثم واقع في الحرام عاص للشرع » اه وسيأتي البحث في هذه الجملة وفيما ينافيها من كتب قائلها الاخيرة

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

قرأنا في رفيقتنا (ترجمان) الغراء التي تطبع في القريم ما تعريبه :

ان المسلمين ببلدة باطوم اتحدوا على جمع إعانة لتأسيس مدرسة فتسدد لهم في مدة وجيزة الحصول على ألفين وخمسمائة روبل. ثم لما بلغ ذلك حضرة السري الوجيه نوري بك خليف أحد أهالي تلك البلدة تبرع بأرض واسعة الارجاء تحتوي على بستان فاخر وبها أماكن مبنية بالاحجار المتينة

بلغنا ان هيئة المالية البلجيكية قد راجعت الحكومة السنية في الحصول

على امتياز يخولها انشاء ترامواي في مدينة بيروت

حدث زلزال في ليلة الاربعاء الماضية بجزيرة (ساقس) باربع هزات متوالية فاستولت الدهشة على سكانها وراحوا يتسابقون الى خارج البلد حيث قضوا ليلتهم أما الاضرار فقد أصابت بعض الجدران وسقطت بعض قطع القرميد من سطوح المنازل {كوكب العثماني}

***

﴿ التعليم في الجامع الدسوقي ﴾

لما كان الجامع الدسوقي من أجل المواقع لتعليم العلم الشريف وكان حوله وأمامه كثير من البلاد التي لا يقدر أهلوها على تعليم أولادهم العلم في الازهر المنيف لما يعوزهم من ضروريات الحياة وكان هذا الجامع الدسوقي ملحقاً بادارة الجامع الازهر ـ اشتغل مجلس ادارته بوضع نظام لسير التعليم والامتحان عليه من دسوق فجاء والحمد لله وافياً بالمقصود منه . ثم رأى مجلس الادارة أيضا ان اصلاح التعليم في الجامع الدسوقي يتوقف على ارسال بعض من حضرات العلماء الازهريين اليه زيادة عمن فيه من حضرات علمائه السابقين فعين له ثلاثة من علماء الازهر : اثنان مالكيان وهما حضرتا الشيخ يوسف فيوص والشيخ رفاعي عامر وواحد شافعي وهو حضرة الشيخ مصطفى نفادى وقد سافر حضراتهم من الازهر الى دسوق يوم الخميس الماضي ويشتغلون بتدريس العلوم الشرعية ووسائلها في الجامع الدسوقي على حسب النظام الذي وضع للتدريس فيه وعلى حسب قرارات مجلس الادارة المبينة لآداب الطالب والاستاذ

وللكتب التي تمنح قراءتها بالحواشي والتي يسوغ تدريسها معها بطريق التخيير وغير ذلك من النظامات (المؤيد)

﴿ نور اليقين ﴾

(في سيرة سيد المرسلين)

ذكرنا في المقالة التي صدرنا بها العدد الماضي ان التاريخ من العلوم التي ينبغي ان تعلم لجميع أفراد الامة ولا سيما تاريخ الامة والملة والوطن وأومأنا الى الفائدة في ذلك. وعلى هذا تجري جميع الامم المتمدنة في تربية أبنائها وبناتها.

يسمي المسلمون التاريخ الذي يبحث عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم علم السير. ولدراسة هذا النوع من التاريخ فوائد كثيرة لأنه تاريخ أمة ودين وبلاد ورجال عظام، فهو يسمو بقارئه الى معرفة كيفية ظهور الدين الاسلامي واشتراع شريعته وتأسيسه أمة كانت أحقر الامم وأبعدها عن التهذيب والمدنية وارتقائه بها إلى اسنام مراقي التهذيب والسعادة . ولذلك يتنافس فيه الافرنج وقد ألفوا فيه كتبا كثيرة لهم فيها مذاهب كثيرة، ولا يزالون يدأبون في البحث عنه ويعنون بالتوسع فيه . وما أجدر اتباع هذا النبي وأصحاب هذا الدين بمثل ذلك . ولكن من الاسف ان نراهم معرضين عنه كل الاعراض وكتبهم فيه قليلة وغير منقحة ! وطالما كنت أفكر في حاجتنا الى كتاب موجز في ذلك ليتدارسه من لا تسمو هممهم الى قراءة المطولات وليقرأ في المدارس الاسلامية فيكون عونا لابنائها على فهم الدين وتحبيبه اليهم فان قراءة السير لها من الشأن في تقوية الاعتقاد ما ليس لكتب العقائد وقد أدركت الضالة ووافتني الرغبة في كتاب «نور اليقين في سيرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سيد المرسلين » فان مؤلفه الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضري قد اعتمد فيه على صحاح الاخبار وأغضى عن الخرافات والغرائب التي ولع بها اكثر المؤلفين فجاؤا بالغث والسمين ، ومهد لكثير من الحوادث تمهيدات تشرف بالقارىء على سرها، وأرشد أهل العصر للاعتبار بها باشارات لطيفة ومقارنات منبهة وتعليل يشفي العليل مع انه قليل ، ولولا ضيق المقام لأوردنا من ذلك شيئا ولعلنا نوفق لذلك في عدد آخر

وعسى ان يزيد الاستاذ المؤلف تنقيحه في طبعة ثانية ويعني بنفسه في تصحيح الطبع فيزيل بين الفاظ الاحاديث النبوية وما أدرج معها وامتزج بها بوضعها بين أقواس وكذلك الآيات القرآنية ولقد فعل ذلك بالطبعة الاولى ولكن لم يكن تاما . وأقترح على حضرته أيضا عزو الاحاديث الى مخرجيها والاشارة الى صحتها أو ضعفها وبذلك تتم الفائدة. وبالجملة ان هذا الكتاب لا يوجد مثله في هذا الفن فهو على اختصاره انفع من المطولات التي تثير على الدين بعض الشبهات بما جاءت به من الغرائب التي يتوهم اصحابها انهم يقوون بها الدين ويعظمون سيد المرسلين . فنشكر حضرة المؤلف ونثني عليه بلسان الاسلام أطيب الثناء ونحث جميع المسلمين على مطالعة الكتاب وقراءته لنسائهم وابنائهم ونستلفت على الخصوص رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية وأعضاءها وجمعية العروة الوثقى الى تقرير قراءته في مدارسهما والله الموفق

مرآة المرأة — اهدانا حضرة الفاضل الماس افندي فوزي ناظر المدرسة العثمانية ومؤسسها نسخة من كتابه « مرآة المرأة » وهو كتاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصور يبحث في الشؤون العائلية ويهدي ارباب البيوت الى كيفية ادارتها على وجه السداد

***

التعليم والتربية عند نساء الاستانة — واهدانا حضرة الفاضل محمد افندي ضيا مترجم العقيدة الاسلامية رسالة « التعليم والتربية عند نساء الاستانة » وهو ترجمة خطاب في تربية المرأة في الاسلام خصوصا والشرق عموما القته السنيورتيه السمير الده سرفانتس على مؤتمر النساء في معرض كولومبيا في يوليوسنة ١٨٩٣

ولا يخفى ان موضوع الكتاب والرسالة من اشرف المواضيع التي نحن في اشد الحاجة اليها فنشكر سعي الفاضلين ونحث على اقتناء الكتابين ولم تسمح لنا الفرصة بمطالعتهما لنقرضهما ونتقدهما

دفعت حكومة مراكش ١٥٠ ألف فرنك لحكومة البورتغال و ٢٠٠ ألف فرنك لايطاليا تعويضا عن تعدي عصائب الريف على رعاياهما فهكذا الجهل يدمر البلاد وتقول بعض الجرائد الاسلامية اننا هوّنا في شأن مراكش حين أنذرناها بالهلاك اذا لم تصلح شؤنها وهؤلاء غاشون للمسلمين وأولئك عار على الاسلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

(فأضلونا السبيلا) (*)

اللهم غوثا غوثا ورحمة ولطفا . اللهم عونا عونا ومنة وفضلا. انظر اللهم الى هذه الامة التي شقيت بعد السعادة ، واستعبدت بعد السيادة، وذلت بعد العز ، وافتقرت بعد الغنى ، وضعفت بعد القوة ، وجهلت بعد العلم ، وظلمت بعد العدل ، وفسقت بعد الطاعة ، وكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

اللهم قد مسن الرجال وفنك النساء وعم الجهل وساءت التربية وأرسلت الحبال على الغوارب فصار المعروف منكراً والمنكر معروفا والاخرق وليا والعاقل مقليا وهضمت الحقوق وكثر العقوق وفشا الكذب وأكل السحت فأنزلت على الامة الغضب والمقت ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

اللهم ان حكامنا قد أطلقوا الحرية في الفسق والكفر وقيدوا الحرية في العلم والفكر وتركوا شريعتك السماوية واستبدلوا بها القوانين الوضعية وشرعوا للرئيس الاكبر سلطة مقدسة ينسخ بها ما أحكمت ويبيح ما حظرت ويحظر ما أبحت ويعفي عمن عاقبت (أي حكمت عليه بالعقوبة) فأخذهم العذاب وهم ظالمون

اللهم ان علماءنا قد تركوا القرآن والسنة وأخلاق الدين وعكفوا

(*) فاتحة العدد الثاني والثلاثين الصادر في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣١٦

على الخلاف والبحث في كتب المؤلفين وأهملوا ارشاد الامة لأن بعض فقهائهم قال لا يجب على العالم ان يعلم ما لم يسئل! وانى يسأل الجاهل المطلق!؟ وأولوا قولك (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقولك (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

اللهم ان قراءنا ومرشدينا قد اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا يقرأون القرآن تغنيا في الازقة والشوارع والملاهي والجامع لا يجاوز حناجرهم . وقد استبدلوا بذكرك التغني والرقص والتثني وما كان ذكرهم الا جعجعة وحمحمة ودمدمة وهمهمة . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) . قادوا الامة بزمام الذل الى مقاصدهم فاتت همها وتراكمت غمها زعما بأن شيوخهم كانوا من الاذلين وأنت تقول (ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) علموها الاحتجاج على التقصير بالقضاء والقدر الذي نهى نبيك عن الخوض فيه ودحضت فيه احتجاج المشركين وعنفتهم على سوء أدبهم حيث قلت في كتابك العزيز (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء !! كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ؟)

اللهم انهم قد حولوا قلوب عبادك عنك الى شيوخهم فصاروا يستعينون بهم في رغائبهم ويستغيثون بهم في نوائبهم ويطوفون بقبورهم متضرعين ولاحجارها مقبلين ولحاجهم منهم طالبين ويقولون انهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شفعاؤهم عندك يقربونهم اليك زلفى . وما كان الشرك الذي عاه كتابك وعابه على من قبلهم الا مثل هـذا . ولكنهم حرفوا وأولوا، وغيروا وبدلوا، احتجاجا بكرامتك لاوليائك المخلصين . ثم ان فضلك يمنح من أطاعك الكرامة ولكن ما كنت لترضى بقول هؤلاء: إن سمواتك السبع بمن فيها من ملائكتك المقربين وأرواح أنبيائك المرسلين صارت في رجل أحد شيوخهم كالخلخال، وهو الذي من لمسه أو لمس أحد خلفائه وذريته لا تمسه النار، وان أحدهم يسعد ويشقي ويفقر ويغني ويميت ويحيي (كما قالوا في سيدي أحمد الرفاعي وعبد الرحيم الرفاعي قدس الله سرهما من هذا الضلال) وأنت تقول (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أي لا ليقترح عليهم كما قال البيضاوي وغيره . وقد أمرت سيد أنبيائك ان يتنصل من الاستطاعة على مثل ما يدعون بقولك (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي، قل هل يستوي الاعمى والبصير؟ أفلا تتفكرون ؟*) وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون)

اللهم اصلح الراعي والرعية وألف بين قلوب عبادك وألهمنا رشدنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . وانصر سلطاننا . وأيد برهاننا ولا تجعلنا ممن قلت فيهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)

أما بعد فقد روي أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان يسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشر والبلاء الذي يقع على الامة وعن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسباب ذلك وقد قيل له في ذلك فقال أعرف الشر لأتقيه فنظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

عرفت الشر لا للشر (م) لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر (م) من الخير يقع فيه

لا جرم ان العلم بعوارض الامم من السعادة والشقاء هو العلم بالانسان الذي هو أشرف الموجودات في هذا العالم وهو من أشرف العلوم وأهم مباحثه ما يشرح أسباب أمراض الامم وهلاكها، وقد نبه عليه القرآن الحكيم بمثل قوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي للانبياء الذين جاؤا لتهذيبهم واصلاح شؤونهم وهدايتهم الى سعادتهم، ويظن من لا فقه لهم بأسرار الدين أن الله تعالى أهلك الامم المكذبة اكراماً لمن كذبوهم وانتقاما لهم! ولو كان ذلك صحيحا لكان وجود الانبياء فيهم عذابا ولم يكن رحمة . والحق أن حالتهم في الفساد والفسق والظلم والحيد عن سنن الله في بقاء الامم هو الذي كان سبب هلاكهم كما هو صريح الآيات الكثيرة جداً والمطابق للعقل، واما الانبياء والمصلحون أزالوا عذرهم وأبطلوا احتجاجهم على الله تعالى بأنهم كانوا غافلين عن سنن الاصلاح (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فبين لهم طرق سعادتهم بآيات الطبيعة ثم آيات الوحي (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون* والذين كفروا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا العلم هو الذي ينير البصائر ، ويصلح السرائر ، ولله در الامام الغزالي حيث قال: أفضل العلوم العلم بالله تعالى وبسننه في خلقه. ولكن المسلمين تجاوزوا بأنظارهم آيات الكتاب الكثيرة التي أرشدتهم اليه ، والآيات الكونية في الآفاق وفي أنفسهم ، وحسب جمهورهم انه لا يمكن الكلام على مستقبل الامم الا بالاطلاع على الغيب ، وحملوا كل ماورد في السنة على ذلك . وزاد عليها الزنادقة والمنحرفون أحاديث وضعوها وافتروها للأرب ، فكان للباطنية واضرابهم من المبتدعة فيها ملاعب ، وفي التوسع بالتأويل مشارب ، وفي انفصام عرى الوحدة بالتفرق في الدين مذاهب

لنمسك عنان القلم عن الجري في هذا المضمار الآن ولنأخذ من التاريخ قبسا نستضيء به في بحثنا عن اضلال رؤسائنا لنا وانحرافهم بنا عن جادة السعادة الى تيه الشقاء والخزي . مالوا مع الهوى ، فطرحونا في الهوى (بضم الهاء ج هوة) وانتهى بهم الاستبداد الى توهين قوى الافراد ، وان شئت قلت الى اضمحلال الامة واعدامها اذ ليست قوة مجموع الامة الا قوة الافراد بعينها

رؤساؤنا هم الامراء الذي تولوا أمر الاحكام ، والعلماء الذين بيدهم أزمة العلم والتعليم ، والمرشدون الذين تصدوا للتربية والارشاد . واننا نكتب مقالات نبين فيها كيف كان إضلالهم لنا حتى انتهينا الى هنا ونبدأ بالكلام في الخلافة والخلفاء والسلاطين والامراء . فانتظر الاعداد التالية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرسالة الحاتمية

وتسمى الموضحة لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي، شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من اظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره، وانا نورد ماذكره في مقدمتها من السبب في ذلك قال :

لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفا عن مصر ومتعرضا للوزير أبي محمد المهلبي بالتخييم عليه، والمقام لديه، التحف رداء الكبر، وأذال [1] ذيول التيه، ونأى بجانبه استكبارا، وثنى عطفيه جبرية وازورارا . فكان لا يلاقي أحداً الا أعرض عنه تيها، وزخرف القول عليه تمويها، تخيل عجبا اليه، أن الادب مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره، وروض لم يجن نواره سواه، فهو يجني جناه، ويقطف قطوفه دون من تعاطاه . وكل مجر في الحلاء يسر، ولكل نبأ مستقر، فعبر جاريا على هذه الوتيرة مدة مديدة، أجرته رسن البغي فيها، فظل يمرح في تيهه حتى اذا تخيل انه السبّاق الذي لا يجارى في مضمار، ولا يساوى عذاره بعذار، وانه رب الكلام ومقتض عذارى الالفاظ، ومالك رق الفصاحة نثرا ونظما، وقريع دهره الذي لا يقارع فضلا وعلما . وثقلت وطأته على كثير ممن وسم نفسه بميسم الادب، وانبط [2] من مائه أعذب مشرب فطأطأ بعض رأسه، وخفض بعض جناحه، وطأمن [3] على التسليم له طرفه.

(١) اذال هنا بمعنى أرسل (٢) انبط أي استخرج (٣) طأمن ظهره أي أحناه وطأمن طرفه خفضه وغضه وهو كناية عن الخضوع له والاذعان لفضله عليهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وساه معز الدولة أحمد بويه، وقد صورت حاله ان يرد حضرته وهي دار الخلافة، ومستقر العز وبيضة الملك — رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان، وكان عدوا مباينا لمعز الدولة فلا يلقى أحدا بمملكته يساويه في صناعته، وهو ذو النفس الابية والعزيمة الكسروية. والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالاحرار صروفه، ولا دارت عليهم دوائره، وتخيل الوزير المهلبي — رجما بالغيب — ان أحدا لا يستطيع مساجلته، ولا يرى نفسه كفؤا له، ولا يضطلع باعبائه، فضلا عن التعلق بشيء من معانيه !! وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه، وتفخيم من يفخمونه، وتكرمة من يراعونه ويكرمونه، وربما حالت الحال، وأوشكوا عن هذه الخليقة الانتقال، وتلك صورة الوزير المهلبي في عوده عن رأيه هذا فيه

ولم يكن هناك مزية يتميز بها أبو الطيب عن المجيد المفلق من أبناء الادب فضلا عن العتيق القارح الا الشعر، ولعمري ان أفنانه فيه كانت رطبة، ومجانيه عذبة، فنهدت[1] له متنبطا عواره، ومقلما أظفاره، ومذيعا أسراره، وناشرا مطاويه، ومنتقدا من نظمه ما تسمح فيه، ومتحينا ان نجمعنا دار يشار الى ربها، فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف به السابق من المسبوق، واللاحق من المقصر عن اللحوق، وكنت اذ ذاك ذا سحاب مدراره، وزند في كل فضيلة وراه، وطبع يناسب صفو العقار، اذا وشيت بالحباب، ووشت بها سائر الاكواب، هذا وغدير الصباصاف، ورداؤه ضاف، وديباجة العيش غضة، وأرواحه معتلة، وغمائمه منهلة، وللشبيبة شرة[2] وللاقبال من الدهر غرة، والخيل تجري يوم الرهان باقبال أربابها، لا بعروقها ونصابها، ولكل

(١) أي برزت وصمدت (٢) حدة ونشاط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

امرئ حظ من مواتاة زمانه، يقضي في ظله أرب، ويدرك مطلب، وتتوسع مراد ومذهب

حتى اذا عدت عن اجتماعنا عواد من الايام، قصدت مستقره، وتحتي بغلة سفواء[1] تنظر عن عيني باز، وتتشوف بمثل قاد متي نسر، وهي مركب رائع وكأني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب، وبين يدي عدة من الغلمان الروقة[2] مماليك وأحرار، يتهافتون تهافت فريد الدر عن اسلاكه، ولم أورد هذا متبجحا ولا متكثرا بذكره، بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال، ولم ترعه روعته، ولا استعطفه زبرجه[3] ولا زادته تلك الجملة التي ملأت أنحاء طرفه وقلبه الا عجبا بنفسه، واعراضا عني بوجهه، وقد كان أقام هناك سوقا عند اغيلمة لم ترضهم العلماء، ولا حركتهم رحا النظراء، ولا أنضوا افكاراً في مدارسة الادب، ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره، وسهله ووعره، وانما غاية احدهم مطالعة شعر ابي تمام وتعاطي الكلام على نبذ من معانيه، او على ما تعلقت الرواة مما يجوز فيه، فألفيت هناك فتيه تأخذ عنه شيئا من شعره

فحين أوذن بحضوري، واستؤذن عليه لدخولي، نهض من مجلسه، واذا تحته أخلاق عباءة قد ألمت عليها الحوادث فهي رسوم دائرة، وأسلاك متناثرة، فلم يكن الا ريثما جلست فأتانا فنهضت فوفيته حق السلام، غير مشاح له في القيام، لأنه انما اعتمد بنهوضه عن الموضع أن

«١» سفواء أي خفيفة سريعة «٢» الروقة بضم الراء جمع رائق وهو الحسن الذي يروقك أي يعجبك «٣» الزبرج بالكسر الزينة من وشي أو جوهر ونحوه والذهب والسحاب الرقيق والمراد الاول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا ينهض الي ، والغرض كان في لقائه غير ذلك ، وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر :

وفي المشي اليك علي عار ولكن الهوى منع القرارا

فتمثل بقول الآخر :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن جدود وأرزاق بأقسام
كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمي فيحرزه من ليس بالرامي

واذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكنا في وغرة القيظ وجمرة الصيف ، وفي يوم تكاد دوائع الهامات تسيل فيه . فجلست مستوفزا[1] وجلس متحفزا ، وأعرض عني لاهيا ، وأعرضت عنه ساهيا أؤنب نفسي في قصده ، واستخف رأيها في تكلف ملاقاته ، فعبر هنية[2] ثانيا عطفه ، لا يعيرني طرفه ، وأقبل على تلك الزعنفة[3] التي بين يديه ، وكل يومي اليه ، ويوحي بلحظه ، ويشير الى مكاني بيديه ، ويوقظه من سنته وجهله ، ويأبى الا ازوراراً ونفاراً ، وعتواً واستكباراً . ثم رأى ان يثني جانبه الي ، ويقبل بعض الاقبال علي ، فأقسمت بالوفاء والكرم ، فانهما من محاسن القسم ، انه لم يزد على ان قال ايش خبرك ! ! ؟ فقلت بخير أنا لولا ما جنيته على نفسي من قصدك ، ووسمت به قدري

« ١ » أي منتصبا غير مطمئن ونحوه متحفز « ٢ » غبر : مكث وبقي ومن معانيه ذهب ومضى فهو من الاضداد ، وهنية كهنيهة تصغير هنة الاولى بناء على ان لامها واو والثاني بناء على انها هاء ويكنى بالهنة عن أي شيء والمراد هنا ساعة لطيفة أو مدة قليلة « ٣ » الزعنفة الطائفة من كل شيء وكل جماعة ليس أصلهم واحداً

من ميسم الذل زيارتك ، وجشمت رأيي من السعي الى مثلك ، ممن لم تهذبه تجربة ، ولا أدبته بصيرة ، ثم تحدرت عليه تحدر السيل الى قرارة الوادي ، وقلت له أبن مم تيهك وخيلاؤك ، وعجبك وكبرياؤك ، وما الذي يوجب ما أنت عليه من الذهاب بنفسك ، والرمي بهمتك الى حيث يقصر عنه باعك ، ولا يطول اليه ذراعك ، هل ههنا نسب انتسبت الى المجد به ، أو شرف علقت باذياله ، أو سلطان تسلطت بعزه ، أو علم تقع الاشارة اليك به ؟؟ انك لو قدرت نفسك بقدرها ، أو وزنتها بميزانها ، ولم يذهب بك التيه مذهبا ، ما عدوت ان تكون شاعرا مكتسبا ، فامتقع لونه ، وغص بريقه ، وجعل يلين في الاعتذار ، ويرغب في الصفح والاغتفار ، ويكرر الايمان انه لم يتبيني ولا أعتمد التقصير بي ، فقلت ياهذا ان قصدك شريف في نسبه تجاهلت نسبه ، أو عظيم في أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه خفضت منزلته ، فهل المجد تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله لكنك مددت الكبر سترا على نقصك ، وضربته رواقاً حائلا دون مباحثتك . فعاود الاعتذار ، فقلت لا عذر لك مع الاصرار ، فأخذت الجماعة في الرغبة اليّ في مباشرته وقبول عذره ، واستعمال الاناة التي تستعملها الحرمة عند الحفيظة ، وأنا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه وذم خليقته ، وهو يؤكد القسم انه لم يعرفني معرفة ينتهز معها الفرصة في قضاء حقي ، فأقول ألم استأذن عليك باسمي ونسبي ، أما كان لك في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتني ؟ ، وهب ان ذلك كذلك ألم ترَ شارتي ، أما شممت عطر نشري ، ألم أتميز في نفسك عن غيري ؟؟ وهو في أثناء ما أخاطبه — وقد ملأت سمعه تأنيباً وتفنيداً — يقول خفض عليك

اكفف من غربك [1] أردد من سورتك [2] استأن فان الاناة من شيم مثلك ، فأصحب [3] حينئذ جانبي له ، ولانت عريكتي في يده ، واستحييت من تجاوز الغاية التي انتهيت اليها في معاتبته ، وذلك بعد رضته رياضة الصعب من الابل ، وأقبل علي معظما ، وتوسع في تقريظي مفخما ، واقسم انه ينازع منذورد العراق ملاقاتي ، ويعد نفسه بالاجتماع معي ، ويسوقها التعلق الى أسباب مودتي

فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه فتى من فتيان الطالبين الكوفيين فأذن له ، فاذا حدث مرهف الاعطاف تميل به نشوة الصبا فتكلم فأعرب عن نفسه : فاذا لفظ رخيم ولسان حلو واخلاق فكهة وجواب حاضر وثغر باسم في أناة الكهول ووقار الشيوخ ، فأعجبني ماشاهدته من شمائله وملكني ما تيمته من فضله فجاراه أياما

قال ابن خلكان ومن ههنا كان افتتاح الكلام بينهما في اظهار سرقاته ومعايب شعره ، والرسالة طويلة تدخل في ١٢ كراسة تشهد لصاحبها بالفضل الباهر مع سرعة الاستحضار واقامة الشاهد

---

(١) المراد بالغرب هنا الحدة (٢) السورة هي الحدة أيضا (٣) أصحب الرجل صار ذاصاحب وأصحب البعير ونحوه ذل وانقاد بعد صعوبة كأنه دخل في الصحبة بعد الامتناع والمراد هنا انه لان له

www.alukah.net إبداع من شبكة الألوكة

الحرب أو التحكيم — سوانح وبوارح

قال بعض العلماء ان من برع في فن من الفنون يهتدي به الى سائرها ومراده أن بين مسائل العلوم مشابهة فمن قويت ملكته في مزاولة بعضها سهل عليه فهم البعض الآخر

ولدينا الآن مسألة من علم السياسة تشبه مسألة من مسائل النحو وقد اختلفت فيها الجرائد السياسية كما اختلفت النحاة في مسألتهم ، المسألة السياسية مسألة فشوده والنحوية مسألة التنازع ، يقول النحاة اذا تنازع عاملان في اسم فلا بد من إعمال أحدهما اذ يمتنع اجتماع مؤثرين على اثر واحد كما ثبت في علم الكلام ، واختلفوا في الاولى بالعمل من العاملين فذهبت طائفة الى ان العامل الاول أولى ، وقالت أخرى بل الاولى هو الثاني واستدل كل فريق بدليل ، كذلك المتكلمون في السياسة اتفقوا على ان الذي يستولي على فشوده واحد ولكن اختلفوا في تعيين ذلك الواحد واستدل كل فريق بما لاح له انه يؤيد جانبه

تقرأ في الجرائد الانكليزية وما على مشربها من الجرائد المصرية ان الحق واضح في جانب بريطانيا العظمى لانها فاتحة بمالها ورجالها مع مصر ، فهي شريكة لها في كل بلاد السودان الذي يعتبر ملكا للفاتحين ، ولأن السر ادورد مونسون سفير انكلترا في باريس أبلغ المسيو هانوتو ناظر الخارجية الفرنسوية السابق في ١٠ دسمبر سنة ١٨٩٧ ان الحكومة الانكليزية لا تسلم لدولة أوربية بدعوى تحتل بها جزءاً من وادي النيل

وان وزارة اللورد سالسبوري توافق وزارة اللورد روزبري على انه: اذا كانت فرنسا قد أرسلت حملة بأوامر سرية الى بلاد اشتهرت دعوانا عليها من زمن بعيد فاننا نعد عملها هذا غير ودي أو {عدائيا} كما قال السر ادورد غراي في مجلس النواب الانكليزي في ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥

وتقول الجرائد الفرنسوية والجرائد التي على مشربها في مصر وغيرها: ان توفيق باشا الخديوي السابق قرر اجابة لطلب الانكليز ترك السودان المصري وكتب في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٤ الى غوردون باشا حاكم السودان من قبله يأمره باجلاء الجنود والعمال المصريين من بلاد السودان كلها فصار بذلك السودان مباحا لكل فاتح كسائر الاراضي الافريقية المقرر في مؤتمر برلين ان من سبق الى شيء منها ملكه، وقد شرعت الحكومة الانكليزية تتصرف في السودان المصري من عام ١٨٩٠ فأخذت زيلع وأعطت هرر لايطاليا ولادو لولاية الكونغو بل خصصت نفسها بالاقاليم الاستوائية الخصبة وأجرت للكونغو ما شاءت

فان كان تصرفها هذا صحيحا فلماذا لا يكون تصرف فرنسا صحيحا مثله؟ وان كانت البلاد لما تزل ملك الحكومة الخديوية العثمانية فما هذا التصرف وما هذا الامتلاك والاشتراك بالفتوح الذي تدعيه؟ وأما قولها انها لا تسمح لاية دولة باحتلال أي جزء من وادي النيل فهو لا يقتضي امتلاكها لوادي النيل واعطاءها الحق بالاستئثار به! والا لأمكن لكل دولة أن تمتلك من الارض ما تشاء بكلمة كهذه تقولها. وقد زعمت بعض الجرائد ان المسيو هانوتو لم يرد على كلمة السر ادوارد السابقة، لكن الكتاب الازرق الذي أصدرته الحكومة الانكليزية من عهد قريب

وضمنته المذاكرات التي جرت في مسألة فشوده بين انكلترا وفرنسا من شهر دسمبر سنة ١٨٩٧ الى ٣ اكتوبر الجاري مع ملحق فيما دار بين الحكومتين من أغسطس سنة ١٨٩٤ الى ابريل سنة ١٨٩٥ قد جاء فيه أن المسيو هانوتو أجاب سفير انكلترا «عن بلاغه الذي تقدم» بأن سفير فرنسا في لوندره اعترض على ذلك في إبّانه وانه هو رد ذلك القول في مجلس الشيوخ في ٥ ابريل سنة ١٨٩٤ ولم ترد الحكومة الانكليزية على رده

أما نحن معاشر العثمانيين عموما والمصريين خصوصا فنقول ان حجج الفريقين داحضة فالبلاد السودانية هي من الممالك الشاهانية ، والخديويون لا يملكون اخراجها منها ، لأن الذي يولي الخديوي على البلاد يحدد له سلطة ليس هذا منها . فتخلي توفيق باشا عن السودان لا يجعله مباحا لمن سبق وغنيمة لمن فتح ، مالم يجزه على ذلك السلطان الاعظم اجازة رسمية . واذا فرضنا صحة التخلي فلا مندوحة عن القول بأن جميع ما احتلته فرنسا صار لها ، وكذلك ما أخذته انكلترا من زيلع وغيرها وما وهبته جائز صحيح ، وما فتح باسم الحكومة الخديوية فهو للحكومة الخديوية ليس لانكلترا فيه شيء ، لانها لم تكن الا مساعدة على سبيل التبرع ، ولو كانت شريكة لم يكن السردار «باشا» ولا بسا للطربوش !! ولم تكن النفقات كلها من الخزينة المصرية بل كانت مناصفة ! وكانت الـ ون ألف جنيه داخلة في ضمن الحساب ولم تعط دينا ويسمح بها بعد ذلك سماحا

لكن السياسة ليس فيها حق وباطل وصحيح وفاسد ، وانما هي قوة تفعل وضعف ينفعل ، ولذلك نرى الجرائد الانكليزية ترمي في الاحتجاج

الى غرض آخر وهو انها تطلب من فرنسا أن تمثل نفسها مكان الانكليز في مصر ، وعاملة عملها في الاجتهاد بفصل السودان ثم باعادته ، وتعبها في القبض على أزمة الحكومة المصرية وادارة معاملها على الوجه الذي تتحقق به أمانيها !! أفيسهل عليها وترضى بعد وشك الوصول الى الغاية الاخيرة والحصول على الرغبة المتوخاة أن تحول انكلترا أو غيرها دون مرامها وتصد سهمها عن غرضها ومرماها ؟؟ . لاريب ان فرنسا اذا تمثلت هذا وتنكبت خطة السياسة واتبعت خطة الانجيل الشريف الذي يأمر بما اتفقت عليه الشرائع من عهد كونفوشيوس الصيني الى الآن من أن يعامل الناس كل أحد بما يحب أن يعاملوه به فهي تسلم فشوده للانكليز وتترك لهم وادي النيل ! . ونحن نطلب من انكلترا أن تعامل مصر والدولة العثمانية بما تحب أن تعامل هي به اذا فرض ان القوة أمكنتها من احتلال بلادها ،

السياسة وراء الدين والادب وليس تقوم عليها حجة أو تنصاع لآية غير القوة ، ولذلك نرى الدولتين الان تتهيآن للحرب والكفاح وتعدان الاساطيل العظيمة التي لا يوجد عند غيرهما مثلها قوة وكثرة . ويظهر ان الفريقين مصممان على عدم الاقتناع بالمذاكرات الودية اذ لا حجة قيمة لواحد منهما تقنع به خصمها وتعتذر به الحكومة المنصاعة لأمتها التي تناقشها الحساب ، وانما هما طمعان يتناطحان فاذا لم يحل بينهما حائل فلا بد أن ينتهي الامر بغلبة أحدهما بالقوة

كل من الدولتين تخاف الحرب لعلمها بأن خسارتها أكثر من ربحها ولا سيما مع الاكفاء ، ولكل واحدة منهما صوارف ليست للاخرى .

أما انكلترا فانفرادها بعدم حليف لها، وحليفة خصمها أقوى الدول بأسا وأصعبها مراسا، وكون الملكة تأبى أن تختم أعمالها السلمية في عمرها الطويل بالحرب الهائلة التي يذهل تصورها العقول ويدهش الالباب وكونها شديدة الحرص على المال مبالغة في الاقتصاد، وخوفها من خروج مستعمراتها طيعا اذا هي اشتبكت بمحاربة دولة قوية تشغلها عن كل ماسواها . وأما فرنسا فتعطيل معرضها الذي تستمد له من سنين، وفتنة دريفوس التي أقامت الامة وأقعدتها وعدوتها الكبرى المانيا. ومن رأينا ان الحرب ربما كانت مسكنة لحركة فتنة دريفوس لأن المهم يتلاشى في الأهم، وان ألمانيا تود ان تقع الحرب بين الدولتين وتبقى هي على الحياد حتى اذا ما ضعفتا معا أمنت شر فرنسا وطلبها الالزاس واللورين، ومعارضة انكلترا في الاستعمار والتجارة بل وفرنسا أيضا وفي ذلك أعظم نهضة لها، وماذا تتوقع من التعرض لفرنسا، وروسيا القوية حليفة فرنسا من وراء ظهرها وفي تعرضها الخطر على أوربا كلها ! !

فاذا قلنا ان الجرائد حمت الأمتين ونفخت في قلوبهم الحمية جمية الجاهلية وعلمنا ان الحمية وعزة النفس أخوف مايخاف من أمم أوربا على حكوماتها اللاتي لايمكنها مخالفة الشعب اذا هو طلب شيئا فلاجرم انه لم يبق من مانع للحرب الا التحكيم وهو ماأشارت به بعض الجرائد الروسية

اذا اتفق الخصمان على تحكيم الدول العظام في المسألة فلمن يكون الفلج والظفر ؟ هل تنصف تلك الدول فتقول لهما لاحق لكما فأديا صاحب الحق حقه واخرجا من السودان بسلام وسلماه للحضرة الخديوية نائبة السلطان الاعظم صاحب السيادة الحقيقية؟ واذا قالت الدول هذا فهل ترضى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرنسا به والاحتلال الانكليزي في مصر على حاله؟ أم تقول ان هذا التسليم لا يتم الا بالجلاء عن مصر وهو ما تنتظر نهزة مثل هذه لتقوله؟ وهل يرضى اللورد سالسبري المناقشة الاوربية في المسألة المصرية بعد ما أبداه في الكتاب الازرق رسميا انه يأبى مثل هذا كل الاباء؟ أم تقسم أوربا السودان بين الدولتين وتسكت عن الاحتلال؟

كل ذلك غيب مجهول ولكن الذي نعلمه ان ميزان سياسة أوربا الآن في يد القيصرين العظيمين نقولا وغليوم، والاول حليف فرنسا والثاني عدوها، ولكنه صديق جلالة السلطان صاحب مصر والسودان، فاذا كانت هذه الصداقة توازي تلك العداوة فيترجح السكوت وعدم الميل لاحد الجانبين، لكن ألا يوجد مرجح آخر يجذب الامبراطور غليوم إلى جعل الترجيح لمن يميل هواه؟ نقول كان يرجى أن يستميله الق[illegible] لان مسالمة وموادة المانيا لروسيا من أهم الاسس السياسية التي أسسها بسمارك وحافظ عليها طول حياته ولم يظهر ما يكدرها من بعده الا ما نقله لنا البرق في هذا الاسبوع من ان سفارة روسيا في الاستانة لم ترفع رايتها لقدوم الامبراطور كسائر الدول، والسفن الروسية ثمة لم تزين بالرايات والاعلام كغيرها، فاستوقف ذلك الانظار وحرك سواكن الافكار، ولا يزال البرق والبريد ينقلان لنا منذ هزم الامبراطور على زيارة الاستانة والقدس أخبار اهتمام روسيا وفرنسا لذلك، خشية من زيادة نفوذه المضعف لنفوذهما في بلاد الدولة وحذر من مداخلته في حماية المسيحيين (وهي أشد عوامل الدولتين في بلادنا) وقد صرحوا بأن شدة تقرب المانيا من تركيا يخل بموازنة الدول! ولعمري لا معنى لهذا الا توقع المحالفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاذا استطاع مولانا السلطان الاعظم أن يستفيد من هذه الاحوال مايضمن له حفظ بلاده بالتوفيق بين ضيفه الامبراطور وروسيا وفرنسا واجماع رأي الاربع على حل عقدة المسألة المصرية فهو أحكم حكماء السياسة وأشدهم دهاء وأبعدهم غورا وأحصفهم رأيا، وتظهر حكمة سكوته عما جرى في مصر والسودان الى الآن، وينسي الامة رزء كريت وما بين يديه وما خلفه من المصائب والارزاء، وان كانت نتيجة زيارة الامبراطور شدة نفور روسيا وفرنسا منا في هذا الوقت الحرج الذي طرقت فيه أبواب المسألة المصرية ، ويرجى باتفاق من ذكرنا ان يفتح رتاجها ويقوم اعوجاجها ، وفوز الضيف العظيم بالامنية ودولة المضيف الكريم بالرزية ! فانها نتيجة خسيسة ، ومغبة تعيسة، وأجدر بمولانا السلطان الاعظم أيده الله تعالى أن لاينيل الامبراطور غليوم شيئا من رغائبه ، اذا هو أعرض عن موافقته على أجل مآربه، فقد حلب الدهر أشطره، وعرف حلوه ومره، وابتلى نفعه وضره ، وهو خير كنفؤ كريم لهذا شد الله تعالى أزره، ويسر أمره، ورفع ذكره آمين

﴿ رسالة التوحيد ﴾

كما دلت هذه الرسالة على ترقي العلم بترقيتها دلت على رواجه برواجها وانا نرى ونسمع كل يوم أحاديث الاعجاب بها والتنافس فيها وقد اطلعنا على رقيم لحضرة الكاتب البليغ صاحب العزة الامير شكيب ارسلان بث به الى فضيلة الاستاذ المفضال مؤلف الرسالة قال فيه :

« قرأت رسالة التوحيد ولم أزدد بكم علما الا انني سررت لكم بنشرها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد ان حجبت الحاكم بين الانظار وبين تلك الآثار ، وبعد ان ظن ان القضاء صرف نظركم عن كل ماسواه ، ولعمري ان احسن عمل يؤتى هو مثل هذا الاثر ولم اقرأ من مكتوب العصر شيئا ابدع من هذه الرسالة ولا مايدانيها الا ان كان بعض كلام المرحوم السيد جمال الدين ، وعليه فالدائرة واحدة لاحق لي في الحكم من جهة الفن وتعديل الآراء والمذاهب ، ومع هذا فحيث كان الامر من المعقول تأملت فوجدت ان طريقة هذه الرسالة هي أقصد الطرائق ، وانها غاية مايرتاح اليه العقل ويرتاح فيه ، فما أشكل بعدها من مغلقات أسرار الوجود فهو مما ختم الله بإشكاله ، وخبأ نوره عن عباده ، وأما البيان فقد طالما اعتقدت أن الانشاء مارق به المحسوس حتى كاد يسهل ، أو تجرد منه مثال للتخييل ، ولقد وجدتني في تلك الرسالة في عالم معنوي قادت البراعة أسراره ومجرداته بزمام التعبير ، الى ان تخيلت اني قابض على المعاني بيدي ، فضلا عن اني متمثلها في خلدي ، فهذا غاية الخلق من البيان وهو ما أتت به الرسالة » اه

وقد كتب الينا من بلاد الشام أن بعض فضلاء النصارى اطلعوا على الرسالة فقال أحدهم « اذا كان الاسلام هو ما تشرح فانا أول مسلم ، ولكن مؤلفها فيلسوف ديني يقول ينبغي أن يكون الاسلام كذا » فرد عليه مسلم بأن مؤلفها هو من أكابر علماء الازهر أعظم المدارس الدينية ، وهو يقرأها فيه ولم ينكر أحد من علمائه عليها ، ولا قال انها زادت في الاسلام ماليس منه . وقال فاضل آخر : أود أن تقرأ هذه الرسالة في جميع المدارس النصرانية بعد حذف الكلام عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أي لاجل وقوف الناس على سر الدين المطلق ، ولعمري لم يتجل فضل الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في مؤلف يمثل السعادة للبشر في اتباعه كما تجلى في هذه الرسالة . ولذلك جاء بعض أبناء المدارس الاستاذ يوما وقال اني أشكرك أن جعلتني برسالتك مسلما فانني ما كنت أفهم معنى الدين وفائدته قبلها ، وقد اجتهدت في ذلك ونظرت في التفسير فلم أفهم المقصود من القرآن لكثرة المباحث اللفظية ونكت البلاغة . . .

﴿ جرائد سوريا المستعبدة ﴾

« نغمة جديدة »

وارتياح للجرائد السورية المستعبدة لكل ذي سلطة وجاه ولا سيما اذا كان شأنه الايذاء والاضرار بالناس ، يبيعون دينهم بدنيا غيرهم مكرهين ، وما كان أغنام عن هذه المهنة الحقيرة ان كانوا مختارين . نشرت جريدة طرابلس في عددها ٢٧٩ الاخير رقيما بامضاء حسن خالد الصيادي أي ابن سماحتلو الشيخ أبو الهدى الصيادي المشهور كتبه لبعض أتباعهم الرفاعية الذي استأذنه بالرد على كتابنا (المحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) لانه اطلع على النبذة التي نشرناها من مقدمته في العدد الثامن والعشرين من جريدتنا المنار . وقد كتبت الجريدة المذكورة مقدمة للرقيم تحت عنوان « الانصاف وصف الاشراف » وفي هذا العنوان براعة تامة لأن صاحب الجريدة يعتقد بشرف نسبنا ولا يعتقد شرف صاحب الرقيم ، فعنوانه فيه اعتذار خفي لنا على انه مجبور ومرضاة لصاحب الرقيم ، ولذلك لم نؤاخذه على نشره ، ولكن آخذناه على مدحه بقوله « كان فصل الخطاب

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وزينا جريدتنا بنشره الخ » وكان له مندوحة عن هـذا . . . فاذا عادت هذه الجريدة لمثل هذا فاننا نقنعها بما عندنا من الحق بالصفة التي يعرفها صاحبها . أما كتابنا (الحكمة الشرعية) فقد اطلع عليه أشهر العلماء في بلاد الشام واعجبوا بعلمه وبلاغته ونذكر أسماءهم اذا اقتضت المناسبة . وأما في بلاد مصر فكل من قرأ النبذ التي كتبناها منه فقد أطراه وأطراه حتى قال بعض الكتاب البلغاء اننا حين قرأنا مقالة العدد الثامن والعشرين من المنار كدنا أن لا نميز بين كلام تلك المقدمة وما فيها من آيات القرآن لولا الحفظ . أما الرد على المقدمة المذكورة فليس فيها شيء من مسائل الخلاف يرد عليه ، وانما فيها ذكر مضرة الخلاف في الامة والحث على الاتفاق تحت لواء الخلافة ، ولكن القوم يستطيعون الرد على كل شيء كما نعلم من كتبهم ، وعلى نحو الرقيم الذي نحن بصدده وما هو الا عبارة عن (شقاشق مزالق . هتك الانسانية بالافساد . السفلة . السفهاء . أرباب المقاصد السيئة والاغراض الدنيئة . هتك شرف . اضرار . يجعل الباطل حقا والحق باطلا . والكذب صدقا والصدق كذبا . والرفيع وضيعا . والوضيع رفيعا . والكريم لئيما واللئيم كريما . يحط مقادير الكرام ويهضم حقوقهم . يحرف مقاصدهم ويشمت بأساءتهم حسادهم . ذي غرض لئيم . جرئ على الناس لمقاصد دنية . أمة ساقطة جاهلة . الاوساخ الدنيوية . نار الشقاق . التهجم بغيا وعدوانا . العاجز الباغي هو انه . طيشا . الاحقاد خدعتهم . آذوا الحضرة . . . الفتنة الحاسدين . بدسائس المفسدين . أهل النفاق . الشقاشق الزائدة . المباحث الباردة . بوال زمزم . مذبذب جاهل . قبيح فعاله . سفاسف آماله حرف المحرف ، قلب الخير شرا والشر خيرا بمجرد قياسه العقلي الفاسد

ورأيه المعكوس الكاسد . الخسيسة الدنيوية المفسدة . يثير ضغائن . الطعن أهل الباطل . الحاسدين . المفسدة . صريع فالج دائه . ذئب الفرائب . الخزعبلات . الترهات)

هذه هي ألفاظ الرقيم وقد ضمنه بعض أحاديث واهية منكرة يقصد بها التهديد كحديث « أهل الشام سوط الله في الارض ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم وان يموتوا الا هما وغما وحزنا » ولا يصح هذا الا عند مثلهم ، وقد ذكرني الحديث الذي وضعوه لاثبات افساد القادرية للدين وهو « يفسد هذا الدين عالم وابن ولي » (انظر صفحة ٣ من مقدمة لباب المعاني) ونحن لا يسمح لنا ديننا وأدبنا بمثل ذلك السفه والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم لنجعله رداً عليهم مقابلة للفاسد بالفاسد . وان في القطر جرائد وكتبا قد كفتنا مؤنة الاول كجريدة الحشاش التي تصدر في الاسكندرية وكتاب المسامير الذي يتم طبعه قريبا ، أما كتابنا وجريدتنا فلا تنشر غير الحقائق مع النزاهة التي تليق بأدب المسلم ، واذا ادعى حسن بك خالد انه وأبوه لم يهتما لكتاب الحكمة الشرعية فلماذا حركا نوري باشا لكتابة رد علينا وطفقا يردان بكلامهما الفاسد !! واجبرا جريدتي بيروت والثمرات على نشر رسالة نوري باشا وربما يجبران جريدة طرابلس على نشرها بعد امتناعها كما جبراها على نشر كلامهما !! واذا كان قومهم على وفاق مع القادرية فليصرح أبو الهدى افندي في الجرائد بتكذيب (لباب المعاني) وسائر كتبه التي تطعن بهم وتكفرهم !!!

﴿ المسلمون في جاوا ﴾

طلب المسلمون الذين تحكمهم دولة هولاندا كأهالي جاوا وأمثالهم من حكومة هذه المملكة ان يتجنسوا بالجنسية العثمانية فاهتمت لذلك حكومة هولاندا والباب العالي ولكن هولاندا قد سامها هذا الامر فطلبت من الباب العالي ان يسترجع قناصله من مستعمراتها لأنهم يزرعون محبة الدولة العلية في قلوب المسلمين!! اما الباب العالي فطلب اليها اجابة هذا الطلب ولا يزال البحث جاريا في شأنه

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ (*)

الخلافة والخلفاء

ليس من غرضنا في الكلام على الخلافة بيان شروطها وانطباقها على القائم في مقام الخلافة لهذا العهد أو عدم انطباقها ، فان هذه المباحث انما يأتيها أرباب الاغراض الدنيوية ، بل الامراض الروحية ، الذين يثيرون روا كد الاوهام ، ويسيرون في دياجير الظلام ، ونقول قبل الدخول في البحث ان كل من يحاول اشراب الافهام وجوب نزع الامامة من بني عثمان فهو عامل على الاجهاز على السلطة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود ، وما لهؤلاء النوكى من تكأة يتكئون عليها الا قولهم « الخلافة في قريش » وغفلوا أو أغفلوا الشروط المهمة التي لا توجد اليوم في

(*) فاتحة العدد الثالث والثلاثين الصادر في ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣١٦

قرشي كالعدالة على شروطها الجامعة ، والعلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام ، والرأي الصحيح المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح وجمع الكلمة . وكل الذين توسوس لهم أمانيهم بالخلافة وتطريهم جرائدهم باستحقاقهم لها عراة من هذه الصفات التي هي أركان بناء الخلافة . وما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش الا لما كان لهم من المكانة في النفوس التي من أثرها اجتماع القلوب عليهم ، والاذعان لسلطانهم عن رضى واختيار ، وقد نال هذا المعنى آل عثمان فحصل المقصود الشرعي به

انما نتوخى في هذه المقالة الالماع الى أهم وظائف الامامة وكيف خرجوا بها عن حدها حتى صارت مثار النزاع والشقاق ، بعد ان كانت معقد الاعتصام والاتفاق ، فضلت الامة بذلك عن رشادها ، وفتنت في دينها ، ووقعت في نيران الاختلال ، وأصليت جحيم فقد الاستقلال ، وحق لأفرادها أن يقولوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، وهذا عين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم التي أمرنا بها في الحديث الصحيح

الامامة الكبرى هي خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، فهي جامعة لما يسمونه السلطة الروحية والسلطة الزمنية معا . وقد بينا في المجلد الثاني والعشرين من جريدتنا أن نظام الاجتماع البشري لا يتم بدون هاتين السلطتين بل لا تتكون الامم والشعوب الا باحداهما أو كلتيهما ، واجتماعهما في رئيس واحد أعظم مبدأ للوحدة القومية الكاملة ، وبينا أن تفويض أمر السلطتين للقائمين عليهما بحيث تكون ارادتهم شريعة ومشيتهم قانونا لا رادّ لأمرهم ولا معقب لحكمهم — تغرير بالامم ، ويؤدي غالبا الى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تطويحها في مهاوي العدم ، وان سعادة البشر موقوفة على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية، وجعل الناس فيها شرعا لا مزية لرئيس على مرؤوس الا بما يمتاز به المرؤوسون بعضهم على بعض ، ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون ، وان الديانة الاسلامية هي التي حددت الشريعتين ، وقيدت السلطتين ، وألمعنا هنالك الى بعض سيرة الصحابة مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذلك ، فليرجع الى العدد المذكور من شاء

بهذا فتح للنوع الانساني باب كان مغلقا عند كل الامم والشعوب المتمدنة وهو ما يسمونه المبدأ الديمقراطي الذي يظهر به استعداد الافراد، وتتجلى به قوى الشعوب، ويرقى به اوج السيادة، وتنال به غاية السعادة. فتح هذا الباب بمصراعيه فدخل الناس منه الى مدنية جديدة ما عمّ الداخلون فيها أن صاروا بعد شدة العداء اخوانا ، وبعد الاثرة والتعدي والطمع يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، وبعد المحاباة متساوين في الحقوق لا فرق فيها بين أعظم عظمائهم وبين أخس مخالفيهم في دينهم وجنسهم، وما كان للملك من ملوكهم ان ينال امتيازا في الحق على صعلوك من صعاليكهم، ومن شواهد ذلك ان امامهم عمر بن الخطاب عليه الرضوان ابى الا أن يقتص من جبلة بن الايهم ملك بني غسان حين لطم أعرابيا مجهولا ، فقر جبلة من هذه المساواة حيث لم يكن وقر الاسلام في صدره ، ولجأ الى النصرانية . وصاروا بعد العبودية للاوهام والخضوع للاصنام أحرارا لا يخضعون لغير الحق، ولا يداجون أحدا في الحق، فحميت بذلك السلطة المقدسة والطاعة العمياء ، ومحق التمرد والاستبداد ، وترفعت النفوس عن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدنايا والخسائس وتوجهت الى معالي الامور

حسبك دليلا على تقيد سلطة الخلافة في الاسلام مع الشورى قول عمر - وكفى باسم عمر مدحا الذي سارت به الركبان وصار مثلا عند جميع الامم - : «من رأى منكم في عوَجا فليقومه» قاله على المنبر فقال رجل: لو رأينا فيك عوجا لقومناه بسيوفنا، فقال «الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوّم عوج عمر بسيفه »

يظن قوم أن هذا القول جاء به عمر من نفسه ، والحق انه نطق بالشريعة التي قلبت طبيعته من أسوأ الاحوال الى أحسنها ، وقول عثمان في خطبته التي خطبها في الناس يوم جاء أهل الامصار يتصفون اليه في شأن بني أمية: «يا أهل الامصار قد جئتم من البلاد البعيدة تطالبوني بأمور لم أكن أنا الذي ارتكبتها وحدي — الى أن قال — وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه، فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمري لامركم تبع » فتأمل قوله : فأمري لأمركم تبع . ولقد كان الامراء وقواد الجيوش من الصحابة يسألون من الروم وغيرهم عن الامارة، يقال لأحدهم هل أنت أمير هؤلاء القوم ؟ وانما يسألونه لانه مساوٍ لقومه، لم يتميز عنهم في شارته وزيه، فيقول هكذا يقولون مادمت على طاعة الله تعالى ، فاذا خالفت وعصيت فلا طاعة لي عليهم أولا امارة لي عليهم . ومثل هذه الشواهد في كلامهم كثيرة جدا ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد

لولا ان المسلمين كافة كانوا يعلمون ان الامام مقيد بالشريعة التي توجب عليه تحري مصلحة الامة في كل عمل يعمله لها، وانه مؤاخذ على كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطأ، لما وفد أهل الاقطار على المدينة المنورة يناقشون عثمان «عليه الرضوان» الحساب على ظلم عماله الامويين، وتألبوا على خلعه أو قتله ثم قتلوه — ظلما — بغير محاكمة شرعية، فأمين بهذا التطرف في الحرية والغلو في الافتئات مقام الخلافة الذي كان حفاظ الدين، وأعقبه التفرق والشقاق، وكانت تلك الصدمة الاولى التي لم يندمل جرحها حتى اليوم، أمين ذلك المنصب الشريف الذي كان المرجع في حل المشكلات، والضياء في ظلمة الشبهات، فانفصمت عروة الوحدة، وانحلت ربط (بضمتين جمع رباط) الاجتماع، ونجم عن التفرق في الخلافة التفرق في الدين نفسه بحدوث المذاهب المختلفة، ومن الذي يرد ذلك التعدد الى توحده، والافتراق الى اجتماع وهو من وظائف الخلافة التي حدث عنها

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء؟

كانت حرمة الخلافة تبيح لعبد حبشي كبلال (رض) ان يعتقل سيد بني مخزوم وفاتح بلاد الروماز (الشام) بعمامته على ملأ من الناس ويقوده الى ابي عبيدة ليناقشه الحساب، او يبعثه الى الخليفة الذي أمر بذلك

ومن هنا تعلم فائدة استخلاف الامام قبل موته من توفرت فيه الشروط، وهي قطع عروق الخلاف الذي هو مدعاة الفتنة ومبعث الشقاق والهرج كما حصل بسنة أسنها الخليفة الأول وأجمع الصحابة على قبولها وجنوا ثمار منافعها، ولكن الامة اذا انتكست — والعياذ بالله تعالى — انقلبت مناقعها الى مضار، وتحولت وجوه مصالحها الى مفاسد، وكذلك كان شأنهم في الاستخلاف. اتخذوه وسيلة الى جعل الخلافة إرثا محضا محصورا في الاقربين

والاهل، وان كانوا ليسوا بأهل، واشترعوا في ذلك شرعا لم يأذن به الله، وفات بهذا التوارث معنى اختيار أهل الحل والعقد من الامة من يرونه صالحا لهذا المنصب، فوسد الامر الى غير أهله وهي الصدمة الثانية التي صدم بها الاسلام وأهله، واذا أضفتها الى الصدمة الاولى وهو تعدد الخلفاء يتجلى لك انهما كانتا كافيتين لمحو السلطة الاسلامية من القرن الاول وعدم امتدادها، ولكن روح الدين نفسه كانت في ريعان شبابها فقويت على أعراض هذه الامراض العارضة، فلم يظهر أثرها الا بعد ضعف الدين نفسه، كذلك يطرأ على الجسم في طور الشباب داء دوي فتدفع أعراضه قوة المزاج حتى لا تكاد تظهر فاذا ألم بالمزاج ما أضعفه من كبر أو غيره نمت جراثيم الداء وظهرت أعراضه، ثم تغلب الاسلام بقوته المساوقة للفطرة فكانت طبيعة الوجود مساعدة له على تدفق سيله الذي أروى العالم وامتداده الذي لم يعهد له نظير في التاريخ　　(لها بقية)

اليأس والرجاء في مصر

للاطباء في معالجة الادواء ومداواة الامراض طريقتان معروفتان احداهما مقاومة المرض بمناولة الادوية في أوقات معينة بمقادير معلومة وهي معالجة المريض بما هو خارج عن ذاته منفصل عن ماهيته والثانية الازم بمنع المصاب من كل ما يزيد المرض ويطيل أمده وهو الذي يسمونه الحمية ومعاولة تقوية المزاج بذلك وبما يستلزمه من تدبير الغذاء المناسب والنظافة التامة واستنشاق الهواء النقي وحسن الخدمة وازالة ما يهيج

www.alukah.net شبكة الألوكة

الافعال ويؤلم النفس من كل شيء وهذه الطريقة هي المثلى وعليها يعتمد الحكيم النطاسي وبها يثق لان عمادها قوة المزاج حتى يقدر على دفع المرض بذاته، والعلاج بالادوية والتدابير انما هو مساعد لقوة المزاج على دفع المرض لا انه هو الدافع له فهو كالسلاح لا عمل له في نفسه ولكنه مساعد الشجاع على الظفر

وعادة السيف ان يزهو بجوهره وليس يعمل الا في يد بطل

وقد ضرب سيدنا الزبير بن العوام رجلا فقده نصفين فقيل له ما أمضى سيفك! فقال كلا انما هي قوة الساعد فاذا ضعف المزاج وحرض البدن لاستحكام الداء فالعلاج الخارجي لا يكاد يفيد شيئا، واذا قوي فربما يطرد المرض من غير مساعدة الدواء، وأكمل المعالجة ما كانت بالطريقتين معاً فان القوي الاعزل اذا غلب اليوم فلا يأمن أن يغلب غداً، هذا كله معروف في معالجة الاشخاص

ما أشبه أمراض الامم بأمراض الافراد وما أشبه معالجتها بمعالجتها. اذا مرضت الامة بانتشار الجهل فيها واستبداد حكامها أو فقد المحبة منها والثقة عن اللجامعة التي تضمها وتجمعها، أو الانخداع لعدو في ثياب صديق طرح بها وعمل على تمزيق كلمتها بعنوان النالصح المصلح، أو الاغترار بنعيم يزول وهو عيش لا يدوم، وأعقب هذه الامراض افتقاد الثقة بين الحاكم والمحكوم والمرين الافراد بعضهم مع بعض والالتجاء الى الاجنبي واتخاذه بطانة والاعتماد عليه والثقة به وكثرة الرشوة والمصادرة والسخرة والتعذيب من الحاكم للمحكوم له والتعنيف والتبذير من الخاصة والعامة وصارت الامة بهذا كله طعمة لكل طامع ونهبة لكل ناهب طامع

وضربت الامم القوية بصيد بلادها وضربت الدول الفاتحة في احشائها فعظم عليها الخطب وأنساها هذا المرض الاخير جميع ما تقدمه من الامراض المتولد هو منها لانه هو الذي يودي بحياتها وينتهي بموتها (وهو فقد الاستقلال) — اذا كان هذا كله — فهل الصواب الاهتمام بمعالجة هذا المرض دون ما تقدمه من الامراض لانه المذفف على تلك الجروح والمجهز على حياة الامة أو الاعتناء بمعالجتها جميعاً ؟ ؟

أقول ان السعي بمعالجة مرض تنتج من أمراض أخرى تقدمته مع بقاء تلك الامراض متأصلة في الجسم عبث وضلال وقصارى ما تفيد هذه المعالجة ازالة بعض أعراض المرض بأدوية خارجية ولا يؤمن بعد ازالته أن يعود هو أو مثله ما دامت العلة الاولى موجودة بمقدماتها كلها

وبعد هذا فموضوع كلامنا المسئلة المصرية واستقلال مصر، مرض مصر الاخير الذي تولد من تلك الامراض التي أشرنا اليها هو الاختلال الذي انتهى بالاحتلال الانكليزي لها وأعني بالاختلال فقد الانتظام من المعيشتين العائلية والوطنية ومن السلطة الحاكمة والاحتلال الانكليزي، من شأن المريض الاهتمام بازالة أشد اعراض مرضه ايلاما باقربب الطرق وبأسرع الادوية فعلا ولذلك قد تعلقت آمال المصريين بأوربا وكلما عن سبب لتذكر المسألة المصرية اتجهوا مادين أعناقهم اليها وطامحين بأبصارهم الى فرنسا التي تحسد انكلترا على سبقها لهذه الغنيمة (الاحتلال) واستئثارها بوادي النيل الذي يعطيها السيادة على كل دولة عظيمة وصار الرأي العام المصري كما قيل

كلما ذاق كأس بأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأرى ان مسألة فشودة هي آخر مافي طوامير النفوس من الرجاء والامل بأوربا وفرنسا فاذا انتهت على ماتحب انكلترا وترضى أو على مافيه منفعة الامتين دون مصر فلا جرم ان مرائر الرجاء تسحل وأسباب الامل تقطع ، ولكن هل ييأس المصريون من الاستقلال وجلاء الانكليز ؟ أقول من الحمق أن يعتمد المريض على الضماد والطلاء الخارجي الذي عسى لا يفيد واذا أفاد فانما هو تسكين ألم أو ازالة عرض ربما يكون زواله وقتيا . والواجب الذي لا تخيير فيه انما هو الاعتماد على المعالجة الداخلية والعمل على اجتثاث جراثيم المرض واستئصال ميكروبات الداء وتقوية مزاج الامة حتى يكون في مأمن من مضرة اعراض المرض كما وقع لقبائل المرته في الهند ثم يدفع بطبيعته أصل الداء كما اتفق للولايات المتحدة في أمريكا

كل قارئ لهذه الجريدة عنده علم من خروج الامريكيين على حكامهم البريطانيين واخراجهم من بلادهم قهراً واستقلال بلادهم عند ماعمتها التربية وانتشر في ربوعها التعليم الصحيح ، وأما قبائل المرته الهندية فقلما يوجد عند أحد من هذه البلاد علم عن حالها ، واننا نشير الى مجمل من خبرها فيه عبرة لمن يعتبر

امتازت تلك القبائل بتهذيب الاخلاق ومحبة جنسها ووطنها واتفاق أفرادها وتضافرهم على كل مافيه مصلحة ومنفعة لهم ، واتخذوا لهم رؤساء فضلاء لا يشذون عن طاعتهم ، ومن سجاياهم حب المسالمة والاتفاق مع مجاوريهم والطاعة لحكامهم ، ولما دخل الانكليز بلادهم واستولوا عليها أصفقوا (١)

(١) اصفق القوم على الشيء أي اجمعوا عليه

على عدم قتالهم وسلموا تسلما، ولو كانوا حربيين كقبائل الافريدين لما تسنى لبريطانيا اخضاعهم أبداً بل لكانت سلطة بريطانيا على خطر منهم في الولايات المجاورة لهم ان لم نقل في الممالك الهندية كلها لان الاتفاق والالتئام في الامم لا يغالب . سلموا للانكليز ولكن أتدري بماذا ؟ عقدوا مجالس الشورى وأقروا باتفاق الآراء على التسليم للانكليز بشيء واحد وهو دفع الاتاوات التي يفرضونها عليهم مهما بلغت وما وراء هذا فكل من تحاكم الى حاكم انكليزي يقتل قتلا محقا كان أو مبطلا ومن اشترى من تاجر انكليزي سلعة يقتل مهما اشتدت حاجته اليها . وعلى ذلك جروا من غير ما إخلال وظلوا على عادتهم في لبوسهم وما عونهم وسائر حاجهم حتى تعلم طائفة منهم الصناعات الافرنجية في أوربا بعثهم قومهم لهذه الغاية فتعلموا ورجعوا يعلمون ويصنعون ومن ذلك الحين كثر استعمال الماعون والنسج الاوربيين ونحوهما

ولما كانت الطرق الحديدية مما يختص بالحكومة لم يمكنهم انشاؤها في بلادهم وقد كانوا متفقين على عدم الركوب ونقل البضائع في السكك الحديدية التي أنشأها الانكليز في بلادهم والاعتماد في ذلك على الابل ونحوها ثم وجدوا ان في ذلك تأخرا في التجارة فصاروا يركبون ويتجرون فيها . واتفق يوما ان أحد وجهائهم أراد السفر في الرتل (القطار) الحديدي فأخذ تذكرة من تذاكر الدرجة الاولى ولما دخل العربة صادف فيها رجلا انكليزيا أراد منعه من الجلوس معه ترفعا فأطلعه على التذكرة التي تؤذن بأن له الحق بالركوب في تلك العربة فأصر الانكليزي على منعه وأصر المرتي على عدم الامتناع فاطلعه الانكليزي ودفع به الى خارج العربة فاطلع الرجل عن

السفر ولم تمض على الحادثة أيام حتى بلغ الخبر لجميع قبائل المرته الضاربين مابين كلكته وحيدر اباد (ولهم وسائط مخصوصة لنقل الاخبار وايصال صوتهم الى سائر أطراف بلادهم) وحتم عليهم أن لا يركبوا بعد ذلك في الارتال الحديدية ولا ينقلوا فيها عروض تجارتهم . وكان الامر كذلك ورجعوا الى جمالهم ونياقهم وكادت السكك الحديدية المارة في بلادهم الواسعة تبطل اذ معظم عملها معهم ولا شغل فيها لغيرهم الا ما كان من مسافر سائح أو عسكر ينقل من مكان الى آخر وبعد البحث من مدير المصلحة علم السبب واجتهد في مرضاة القوم وما قدر على مصالحتهم حتى بلغ منه الجهد واشترطوا عليه أن ينقل أشخاصهم وبضائعهم مدة ستة أشهر بدون أجرة ولا مقابل فرضي بذلك

فهذه ثمار بعض الحب والاتفاق الناجمين عن حسن التربية القومية، فهل أضرت بأولئك القبائل سيادة الانكليز عليهم ؟ هل أذلت نفوسهم وملكت عليهم أمرهم ؟ هل استحوذت على أراضيهم واستأثرت بتجارتهم وصناعتهم ؟ هل استبدت على أمرائهم ورؤسائهم وافتاتت عليهم .. ؟ هل استطاعت القبض على زمام تربيتهم وقيادتهم بها الى الخضوع لعظمتهم والخنوع لعزتهم بله التجنس بجنسيتهم ؟ هل فعلت بهم شيئا من الافاعيل التي فعلتها بسائر الهنود والتي تفعلها في مصر وهي لم تستول على مصر استيلاء شرعيا رسميا كاستيلائها عليهم ؟؟

كل ذلك لم يكن فعلام لا يعتبر المصريون بهؤلاء القوم ويندفعون الى التربية الوطنية القومية والى م يمرضون عن العلاج الصحيح لمرضهم وهو تقوية بنية الامة بالتربية الصحيحة ولا سعادة لهم الا بها وحتام يعدون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعناقهم ويقنعون رؤوسهم ... مون بابصارهم على من لا يسعى الا لمصلحته فلن وافقت مصلحتهم فالعمل لنفسه لا لهم والنظر اليه والزجاد به لا يزيدانه سعيا في مصلحة نفسه ؟

فيا أيتها الامة التعسة الحظ النكدة العيش هبي من نوم الغفلة وانفضي عن رأسك غبار الخمول ولا تخدعي لكلام المغرضين لا تيأسي من روح الله ولا تقعدي بعد التوكل عليه الا على سعيك فالعلاج الصحيح الذي يدفع عنك جميع الامراض ويذهب مع العرض الذي تسميه « الاحتلال » بسائر الاعراض انما يطلب منك لانه يتعلق بداخليتك وما هو الا التعليم التربية الصحيحة والتعليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الانصاف من مزايا الاشراف

عثرنا على مقالة في بعض جرائد سوريا المستعبدة بامضاء « السيد محمد نوري الكيلاني » ملخصها انه اطلع على النبذة التي نشرناها من مقدمة كتابنا المحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية في جريدتنا (المنار) ووصف الكتاب رجما بالغيب « بانه بذر بذور شقاق جديد بين الطائفتين وافتتح باب فتنة سدها الله » وأننا اذ زعمنا الحب لجده الكيلاني فعلينا ان نحترم الرفاعي وان غير ذلك من مزالق المهالك ويجب على اتباع الشيخين ان يضرب به وجه صاحبه وختمها بالتهديد والوعيد على طريقة الذي حركه لهذه الكتابة وتمثل ببيتين من الشعر يومئ بهما الى انه متحد مع رئيس الرفاعية سماحتلو الشيخ ابي الهدى افندي وانهما بمزقان بالسر خصمهما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبيانه ولو كان من حديد!! وذكر ان هذا الخطاب لعصبية الطائفتين

وقد ذيل الرسالة صاحب الثمرات الفاضل بانه يرجو اقفال هذا الباب وان مقام القطبين محفوظ لا تؤثر فيه العوامل مهما تلونت صبغتها، ونحن نقول في الجواب: ان ما وصف به الكتاب سعادة نوري باشا هو وصف غير صحيح والكتاب انما ألف في وقت احتدام النزاع لاجل سد باب الفتنة وبيان الحق في مسائل الخلاف والنزاع لكيلا يخدع أحد بتلك الكتب التي ذهبت بحرمة الطريق ورجاله ومست الدين نفسه ويستحيل على قارئها ان يعتقد بأحد القطبين بل يخشى عليه ان لم يكن راسخاً في العلم والدين أن يختل اعتقاده الاساسي والكتاب يرى الشيخين من كل غميزة غمزا بها ويؤول ما انتقصتهما به تلك الكتب ان أمكن تأويله والا يرده ويثبت بطلانه ويضع حداً للاطراء الذي خال به جهال اتباعهما فرفعوهما به الى مقام الالوهية، فقول سعادة الباشا اذا كان يحب فلاناً فليحب فلاناً أيضا نجيب عنه بخصوصه باننا نحب الاثنين محبة اقتداء بهديهما ولا نخرجهما عن كونهما عبدين لا يملكان لنا بل ولا لنفسهما ضراً ولا نفعا ونحترمهما الاحترام الشرعي ولا نعترف بشيء يخالف الشرع فهو الحق (فماذا بعد الحق الا الضلال؟) وأظنهم هذا سعادة الباشا يعلم ان كتاب الحكمة الشرعية لم يؤلف مرضاة لعصبيته لان فيهم أقرباء ومكاسين، ولا لعصبية الرفاعية لان لهم رئيسا يهب الرتب والنياشين!! وانما مرضاة للحق الذي لا يعدم نصيرا وظهيرا في كل حين فسقط بهذا تهديده سواء كان على ظاهره ام اشارة الى تمكنه مع الآخر من الايذاء وعلى كل حال فهو يهدده وتهديد الآخر سواء

ومن آية صدقنا قولنا اننا لم نؤلف الكتاب الا لسكب مياه النصح على نيران الضغائن لتتلاقى القلوب على الصفاء والوداد ما كتبناه في التنبيه السادس من المناقشة العاشرة من الشعب الاول من المقصد الثاني من كتابنا (الحكمة الشرعية ...) المذكور وتلك المناقشة هي في قول (لباب المعاني) في القادرية « يجازون على الحسنة بالسيئة وعلى الحسن بالقبيح » الوارد في الشاهد التاسع والاربعين من شواهد السفه والشتم والهجو الشعري في ذلك الكتاب واننا نورد هنا ملخص ذلك التنبيه وهو

تخصيصه « أي مؤلف لباب المعاني » صاحب القلادة « هو أبو الهدى افندي » بالاحسان للقادرية دون غيره مع قوله انهم يجازون على الاحسان بالاساءة فيه ايماء الى ان من القادرية من أساء الى مؤلف القلادة نفسه وتخصيصه ذلك بغالب القادرية يكاد يخرجه من الايماء الى الظهور ولم يصرح بتلك الاساءة اكتفاء بوضوح الاشارة وتحاشيا من زيادة شيوعها وعلم من لم يعلم بها وهي على ما ظهر لنا انكار غالب القادرية « الشرقيين » على كيلانية حماه الذين صاهروا الافندي المشار اليه ووقوع النفور بين بعض وجهائهم وبين من صاهره ومن رضي عنهم وشايعهم على ذلك الاعتقاد أولئك المنكرين الناقمين أنه ليس كفؤا لهم من حيث شرف النسب اذ يرون انه ليس من ذرية أبي الخير أحمد الصياد « قدس سره » وان الصياد هذا ليس من الاشراف وانما هو من عرب اليمن والقائلون بشرفه بانون على انه عراقي قلت وممن صرح بأن الشيخ أحمد الصياد هذا يعني شيخ الاسلام التاج السبكي في الطبقات الكبرى .....

هذا ما بلغنا ـ والعهدة على الراوي ـ واذا صح فهو لا يقتضي القطع بانكار النسب المذكور لجواز ان يكون صحيحاً ولم يقفوا على صحته وسيأتي البحث في ذلك في محله

ولعله صح عند سماحة أبي الهدى افندي طعنهم في نسبه وقولهم انه تمكن من اشاعة دعواه بواسطة الجاه الدنيوي حتى عرض بنسب جدهم الغوث الاعظم في كتبه ورسائله المنشورة باسمه وانما لم يطعن بنسبتهم الى حضرة الغوث قدس سره لان طعنه بها لا يقدح في تواترها ولا سيما بعد العلم بان ثمة غرضا باعثا عليه واتصال نسب الغوث بالبضعة الطاهرة وان كان متفقا عليه ومعلوما بالتواتر كما يستفاد من عبارة العلامة الالوسي المارة ـ وتفصيله في المقصد الرابع ـ فالطعن فيه ربما يوهم ان ثمة مطعنا لان قائله لم يقله من عند نفسه وانما يسنده الى بعض المتقدمين الذين هم مظنة للصدق والخلو من الاغراض والمنافسات القائدة الى هذه المساوي والقاذفة في هاته المهاوي

فان قيل من البين أن مقصد هذه الشرذمة من الرفاعية اعلاء قدر الرفاعي وتغليب صيته على كل أولياء الامة وعلى الجيلي بوجه خاص فلأي شيء صرح الشيخ أبو الهدى افندي وهو رئيسهم ـ على ما صرح به البحريني في الصفحة ٧٩ ـ بأن الاقطاب الاربعة سواء في النسب والمرتبة والقدم والفيض ألا يدل هذا التصريح على انه لا يرتضي بكلام تلك الجمعية من الرفاعية ولا يذهب مذهبهم في كتبهم الحديثة التي اختلقوها على بعض النابرين فضلا عن كونه رئيساً لهم كما يعلم من كتاب لباب المعاني ؟ ... فالجواب لا دلالة في عبارته على ما ذكر فانه كتب تلك العبارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قبل التصدي للانكار على القادرية والشروع أو التمادي في الغلو في شأن الرفاعي المقارن لغمط حقوق الجيلي بل الذي يترجح لناظر نحو (هداية الساعي) من كتبه الاولى أن غاية قصده اشراب الافكار مساواة الشيخين وربما لم يكن طامعا بمساواتهما في الشهرة على أن له في تلك الكتب عبائر تشعر بتفضيل الرفاعي على غيره الا انه اعتذر عنها قبل إيرادها بأن اتباع كل شيخ يحق لهم تفضيله على غيره لكونه وسيلتهم وواسطتهم الخ . . . ويوشك ان يكون كتاب هداية الساعي أول دفتر أنشأه في شأن الطريقة الرفاعية كما يؤخذ من مقابلته بغيره من كتبه في اللفظ والفحوى سواء كانت المقابلة في النظم أم في النثر وسواء كان ذلك في مقوله أم في منقوله (وربما ننشر في المنار شيئا من هذه المقابلة) ولقد طبع الكتاب المذكور في استانبول سنة ١٢٨٩ وكان مؤلفه يومئذ نقيبا في جسر الشغراي أوائل رقيه في مراقي الجاه الدنيوي وكان من أخلاقه وعاده في تلك الايام التملق لاشراف البلاد ووجهائها وتمداحهم بالاشعار ككيلانية حماه وكيالية حلب وخلق التملق هو الخلق الفرد الذي ينهض بذويه الى الحصول على سعادة الدنيا من المال والجاه ، ولو توخينا الاستدلال على عدم صحة ما ينسب لذلك الرجل في حق الجيلاني والجيلانية من الكتاب المذكور لكان لنا في غير تلك العبارة المشار اليها في السؤال دليل واضح على احترامه للقادرية وتعظيم طريقهم والثناء على الامام الجيلاني ثناء لا يحتف به تعريض بطعن ولكن الاستدلال بما في ذلك الكتاب المؤلف من نحو عشرين عاما على أحوال مؤلفه وعلاقاته مع غيره الان غير معتبر الا اذا أيده تكذيب ما نشر بعده من الكتب المخالفة له، ومع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك فلا بأس بذكر ما هو من شعائر الود والصفاء، وعلائم المحبة والوفاء، استمالة للقلوب، وتذكاراً للعهود، وتزييلا بين أيام المناصبة والمناواة، وأيام المصاحبة والمولاة، لعلهم يرجعون

ذلك أن سماحة الشيخ أبي الهدى افندي قد نص في الكتاب المذكور على أنه قد تشرف هو ووالده الشيخ حسن وادي بخدمة الطريقة القادرية على يد بعض أكابر مشاهير شيوخها وتفصيل ذلك في خاتمة الكتاب من الصفحة ١١١—١١٣ ونص عبارتها بحروفها نشرناها برمتها في الكتاب ونأتي بملخصها هنا على ما شرطنا

قال بعد البسملة والحمدلة والتصلية « وبعد فمن منّ ربي علي لي شرف ثان بخدمة طريقة سلطان الاولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره العالي وقد تشرفت بالانتساب لخدمة طريقته البهية وحضرته القادرية وأذنت بالخلافة المباركة من حضرة والدي الامجد السيد الشيخ حسن وادي بن علي بن خزام بن علي ابن الشيخ حسين البغدادي ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمود الصوفي دفين شط الموصل الحدأ الصيادي الخالدي نسبا الرفاعي طريقة ومشربا نفعني الله بهم أجمعين وسيدي الوالد تخلف ولبس الخرقة القادرية من يد حضرة شيخه زبدة العلماء وكوكب الصلحاء شيخ السجادة القادرية في حماه لازال قطره عامراً بوجوده وحماه القائم لله على قدم الوفا الشارب من خمر الصفا مفتي الاسلام بضعة الاولياء العظام كعبة الطالبين ومورد السالكين مرشد هذه الطريقة بكل المعاني والبدل الحاضر عن حضرة جده الجيلاني سيدنا الامجد المحترم السيد الشيخ محمد مكرم أفندي ابن المرحوم شيخنا

الكبير وامامنا الشهير الشيخ محمد افندي الازهري دفين بغداد بجوار جده الغوث الاعظم بن حضرة المرحوم الشيخ عمر بن شيخ مشايخ زمانه واستاذ عصره وأوانه قرة العين الشيخ ياسين بن قطب الدائرة القادرية بالاتفاق دفين حماه الشام السيد الشيخ عبد الرازق — وساق النسب الى أن قال — ابن حضرة الغوث الاعظم سلاب الاحوال استاذ الرجال الدرة البيضاء الجامع بين المشوقين الكبريت الاحمر الهيكل الصمداني والقنديل النوراني سلطان الاولياء باز الله شيخ مشايخ العرب والعجم كنز المعارف ومعدن المعاني السيد الشيخ عبد القادر الحسني الحسيني الصديقي الفاروقي المعروف بالجيلاني رضي الله عنه — وساق نسبه بلقب السيد لكل فرد الى الامام الحسن السبط رضي الله عنه ثم قال — هذا النسب الصلبي المتصل من مرشدنا وشيخنا السيد الشيخ مكرم أفندي لجده الاعلى صلى الله عليه وسلم . ثم أثنى على شيخه وشيخ والده المذكور كثيرا منه انه تمت له الكلمات في الظاهر والباطن وختم ذلك بهذه الابيات

ياطالبا مدد الجناب القادري	مل للحما الحموى وقف بالحاضر
وانزل بباب الازهري امامنا	شيخ الطريق بباطن وبظاهر
أسد غيور قادري هاشمي	حصن من الزمن الخؤون الغادر
علم له النسب الرفيع وشأنه السا (م) مي سما بحقائق ومآثر	
مدد له المدد العظيم وسره	سيف القضا المردي لكل مكابر
حبر علي مناقب أنواره	كالشمس لامة لعين الناظر
سر خفي ليس يدركه الفتى	الا بعين بصيرة وسرائر
بدل عن الجبلي حل بحينا	فمقامنا عال بعبد القادر

قل للجهول عميت عن أحواله ... وله العناية كابرا عن كابر
وعظ النبي وقل تقدم والتمس ... مدد العلا من خير ركن عامر
فوحقه لاشك عندي انه ... بدل وقد شهدت بذاك بصائري
وتحققت نفسي حقائق فضله ... ياعاذلي في حبه كن عاذري
أنا لا أمل ولا أميل وان جفا ... أبدا وان قطعت لذاك مرائري

(قال) — «وهنا ذكرنا هذه النبذة الجزئية من أحوال السادة القادرية وأرجو من كرم الله ان يمن على بجمع رسالة في ذكر أحوالهم الكريمة لتحصل لي بسببها بركات همهم العظيمة والسلام ختام» اه ملخصا بالحرف

قلت فالشيخ أبو الهدى أفندي ووالده الشيخ حسن وادي من تلامذة القادرية وأتباعهم واستاذهما ومرشدهما الذي تشرفا بالسلوك على يده في قيد الحياة حتى الآن «أي وقت التأليف وقد مات» فيجب أن لا يصدهما زخرف الحياة الدنيا عن بره فبر الآباء في الطريق متأكد عند القوم تأكدا عظيما وقد أنذروا عاق والده الروحي أي أستاذه في الطريق بالحرمان من الفتوح وبالسلب والعياذ بالله تعالى ونصوصهم في هذا المعنى غزيرة شهيرة . ومن البر أن يعلن أبو الهدى أفندي بتخطئة البحريني مؤلف لباب المعاني الطاعن بحضرة الغوث الاعظم وبجميع القادرية على الاطلاق وبشيوخهم بوجه خاص وبذلك يظهر ان ذمته بريئة من تأليفه ومن الحمل عليه فانه متهم بذلك كما تقدم في المقصد الاول وأن يصرح بأن الطعن بالعلامة الشطنوفي وبالامام الجيلي المفضل في كتب الرفاعية المنتشرة في هاته الاوقات مختلق لا صحة لمضمونه ولا لنسبته لبعض الغابرين وفقا للحجج التي ينصبها على ذلك كتابنا هذا وبذلك تتبين نزاهته وبراءته مما يشير اليه

كلام البحريني من كونه رئيس لجنة الرفاعية كما هو الرأي للمتنبهين لحدوث نشأتها وجدة صبغتها

أما ان هذا لهو خير من التناكر والتنافر والتقاطع والتدابر واذاعة ذلك وسائل ومقاصد بلسان المطبوعات وفيه جعل آل بيت نبينا مضغة في الافواه ومشاهير أسلافنا لملاظة بين الشفاه. وعسى أن لا يصد سماحة الافندي المشار اليه عن اجابة ملتمسنا ماينقله اليه المهازون اللمازون ويقته عنده المذاعون عن بعض القادرية مما يحتمل ان يكون لا صحة لجميعه أو مجموعه عنهم ولو فرض انه صحيح فما الكلام اللساني الاعرض يتلاشى في الهواء وهم لم يثبتوا في كتاب أو رسالة فيما علمنا . وعلى كل حال فالحقائق لا تخفى سواء قال الناس أم لم يكونوا يقولون . وسواء داجي المداجون وصانع المصانعون . وأنكر المحادون وكابر الحاسدون . أم لم يصانع مبتغي الضيعة ولم يكابر باغي القطيعة . وان كان لا بد من المماثلة فادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم

عبرة

(المنار وجريدة طرابلس)

وقفنا في جريدة طرابلس والمنار تحت الطبع فرأينا فيها مقالات ترد على (الحكمة الشرعية) أو على ما نشر منه في المنار بعضها الصاحب الجريدة وبعضها لآخرين، بعضها بذاء وسفاهة وبعضها اعتدال ونزاهة ، والعجب أن يرد المسلم الصادق على شيء لم يطلع عليه وكفى بذلك دليلا على نفاق

أولئك الكاتبين وافترائهم وكان يمكن من عنده مسكة من الدين ان يرضي من احتاج الى مصانعته بعبارة نزيهة صادقة كما فعل أحدهم ولكن النفاق ليس له حد يقف عنده وقد اتخذت جريدة طرابلس هذه الحادثة فرصة لاظهار حسدها للمنار وراء هذا الستار فطعنت في مشرب الجريدة في أول صدورها لأنها تندد بالعادات المنكرة المذمومة وبنت هذا الطعن على أن ذلك لا يرضي الناس!!! وفاتها ان ارضاء الحق مقدم على ارضاء الناس وان كانت لنفاقها تقدم الثاني على الاول ولولا حسدها للمنار الذي فضح ضعف كتابتها ونفاقها بعبارته العربية ونزاهته الدينية مع كون صاحبه من بلدة طرابلس لما خصته بالذم على ذلك . وهذه جريدة مصباح الشرق الغراء تجري مع المنار في مضمار واحد وتنتقد العادات المصرية حتى المتعلقة بالمتممين للطريق بأشد مما انتقدت المنار فلِمَ لم تذمها على ذلك ؟ ، ولكن الحسد انما يقوي حيث تكون الصلة أقوى من نحو وطنية أو قرابة أو جوار ومن العجيب ان جريدة طرابلس طعنت في المنار بما فيه من « تنديدات بتقصيرات أهل الشرق وتحذيرات من تغلب أهل الغرب بما حازوا من قصب السبق » وكأن نفاقها يسول لها ان الأولى بنا غش أمتنا وقولنا للمريض أنت صحيح قوي فكل ما شئت واياك والدواء لان ذلك يسره فيرضى منا ! ، وزعمت ان الناس كلهم نقموا علينا وعلى المنار وهذا كذب فوالله العظيم ان أفاضل الناس كتبوا الينا من مشارق الارض ومغاربها يفضلون جريدتنا على كل الجرائد الشرقية وأما الثناء الذي سمعناه ونقل الينا ممن سمعه شفاها من علماء مصر وفضلائها فهو اكثر من ان يذكر ولا تزال الجريدة في غناء ، ومن عجيب الاقبال عليها ان أكثر من

يتجدد لنا من المشتركين يطلب الجريدة من أول سنها حتى تحدثنا باعادة ماضي منها ولئن شئنا لنفضحن هذا النفاق ونبين حقيقة أهله فنحن أعرف بهم ولكن نعفو ونصفح . وليعلم المنافقون ان كتابنا وجريدتنا لم يوضعا للطعن في أبي الهدى افندى ولا لاساءته فضلا عن الطعن بالقطبين الكبيرين الجيلاني والرفاعي رضي الله عنهما وكانهم به وقد علم بحقيقة مقصدنا الشريف ومشربنا النقي الطاهر فرضي عنه وكأنهم بالمنار يضيء فوق جبال سوريا فيم أغوارها وانجادها فيخطف أبصار الشامتين وتقطع بذلك ألسنة المنافقين، وتحترق قلوب الحاسدين (ان الله لا يهدي كيد الخائنين)

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ (*)

٢

الخلافة والخلفاء

بينا في العدد الماضي معنى الخلافة وأهم شروطها ووظائفها وفائدة الاستخلاف ومضرته وأومأنا الى ما كان من الخلاف في الدين بسبب التنازع في الخلافة وقد ورد في الحديث ان الخلافة تكون بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين سنة ثم تصير ملكا عضوضا، واذا أمكن النزاع في صحة رواية الحديث فلا مجال للنزاع في معناه، فلقد خرج بنو امية بالخلافة

(*) فاتحة العدد الرابع والثلاثين الصادر في ٢٣ جمادي الآخرة سنة ١٣١٦

عن حدها وبعدوا بها عن عهدها وقام الملك بالعصبية وانحرف القائمون عليه عن جادة العدالة العامة والعلم الديني وهما أقوى أركان الخلافة، وانغمسوا في الترف والنعيم واستبدوا بالاعمال كافة وأسرفوا في النفقات من بيت المال ، الا انهم أعطوا الملك حقه من الفتوح والتغلب والعدل في القضاء وحفظ الامن والراحة وكيف لنا بمثل ذلك اليوم ؟ ولذلك كان الفقهاء يعتبرون خلافتهم شرعية وقد احتج الامام مالك في الموطأ بعمل عبد الملك ابن مروان ومع هذا فقد أذن الله تعالى بانقراض ملكهم لفسق ملوكهم واسرافهم في أمرهم ولاسيما بعد عمر بن عبد العزيز العادل فقد كان يزيد بن معاوية أفسق الفساق وكان عبد الملك جباراً عنيداً على انه كان سياسياً ماهراً وكان سليمان همه في قضاء شهواته وكان الوليد الثاني بن يزيد سفيها مستخفاً بالدين وقد حفظ عليهم التاريخ سيآتهم ولم يكد يبلغ ملكهم قرنا واحدا حتى حدث فيه من البدع والفوضى في العلم والدين ووضع الاحاديث واختلاقها على الرسول ما زعزع قوائم الدين ولبس أهله شيعاً وفرقهم مذاهب وذاق بعضهم بأس بعض فكان مذهب الخوارج ثم المعتزلة والجبرية ولو لم يخرج الامويون بالخلافة عن رتبتها العلمية الدينية لجمعوا أمر المسلمين على أصول الدين الاساسية وأطلقوا لهم الحرية في النظر فيما وراءها وأنشأوا جمعية علمية دينية تحت رياسة الخليفة للحكم في مسائل الخلاف ومواضيع النزاع تحظر الدعوة الى ما تحكم ببطلانه وتعذر بعده من لم يتضح له ظهور برهانها على برهانه

ثم دالت الدولة الى العباسيين فساروا سيرة حسنة الى عهد أبناء الرشيد والفوضى العلمية على حالها وقام المأمون العباسي على علمه وفضله بنتصر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للمعتزلة ولكن انتصاره كان علميا فقط وغالى بعده المعتصم في الاعتزال وكانت فتنة القول بخلق القرآن التي اضطهد فيها الائمة المجتهدون وطبعت النفوس على الغلو المفرط وظهر في زمن العباسيين الرواندية الذين قالوا بعبادة الخلفاء وقد قاتلهم المنصور والزيدية . بل ظهر ماهو أدهى من ذلك وأمر وهو مذهب الباطنية الذي ظهر بمظاهر كثيرة وسمي باسماء مختلفة وأشهر فرقه الاسماعيلية وقد اجتهد رئيس الباطنية حسن الصباح في افساد الدين الاسلامي والخروج به عن حقيقته . ولا ريب أن ضرر هذا المذهب — وأكثر فرقه من الدهريين — كان من أشد المصائب على الدين لانه تعضد من القوة السياسية باتصار الخلفاء الفاطميين له ودعوتهم اليه ومن القوة العلمية الدينية بما كان من اختلال أقوال غلاة المتصوفة الذين خاضوا في الكلام على ماوراء الحس استناداً على الكشف فشايعوا الباطنية على ان للقرآن معاني غير ما عطيه اللغة وأساليبها وفتحوا على الامة باب التأويل الذي ضلت فيه الامم من قبل

هذا التفرق في الدين كان منتشراً في البلاد الاسلامية والخلفاء وادعون ساكنون لايهتمون لجمع الناس على عقيدة واحدة بل تركوا هذا السيل ومايجرف حتى بلغ مدهُ غايته ووقعت الفوضى الحقيقية بالتظاهر بالمفاسد والخروج على السلطان فنهب القرمانية الكوفة سنة ٢٨٥ في خلافة المعتضد وأغاروا في خلافة المكتفي على الشام وفلسطين وأوقفوا تجارة العراق والحجاز ثم حاصر رئيسهم أبو طاهر مكة وأخذها عنوة وهدم الكعبة وكان ذلك في أوائل القرن الرابع واستباح الحرم بسفك الدماء وأخذوا الجزية من الخليفة القاهر والخليفة الراضي ثم سخر الله ملوك

الهمدانية والاخشيدية للتنكيل بهم ولولا ذلك لاستفحل أمرهم ودامت لهم السلطة ولكن الباطل قد يطول أمده ولكنه لا يدوم « ان الباطل كان زهوقا »

اجتهد الامويون في اضعاف سطوة العرب في الحجاز لان ضلعهم كان مع الهاشميين وتمكنوا من ذلك بواسطة عمالهم الظلمة كالحجاج وغيره حتى ان المؤرخين قالوا ان الوليد بن عبد الملك ما بنى تلك القبة على صخرة بيت المقدس وجعلها بحيث يطاف بها الا ليحول الناس اليها عن الكعبة!! وكثر اضطهاد العلويين في زمنهم فكان ذلك مغريا لقلوب محبيهم على زيادة الشغف بهم وانتهى بالغلو الذي تعلم ولما أمنوا في عهد العباسيين بعض الامان ظهر من شأنهم ما غيّر قلوب بني العباس عليهم ولمّا عهد المأمون بالخلافة لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أرادوا خلعه واستبدال آخر به منهم فبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي وكان من اضطهاد هؤلاء للعلويين وقتل الكثير من عظمائهم سراً وجهراً ما جمع كلمتهم ودفع بهم الى تأسيس خلافة مستقلة فكانت الخلافة الفاطمية وظهر معها مذهب الشيعة كامل الظهور فامتزج بمذهب الباطنية أتم الامتزاج ، كما أنشأ الامويون خلافة أخرى في الاندلس بعد تغلب العباسيين عليهم ونزع الامر من يدهم

اضمحلت الخلافة العباسية وتلاشت بما اضمحلت به الخلافة الاموية من الخروج بها عن العلم والعدالة وبعوارض أخرى عرضت عليها منها كثرة الفتن والبدع التي فرقت الكلمة ومنها اعطاء المأمون طاهرا ولاية خراسان يستقل بالحكم فيها لانه قتل أخاه الامين ففتح باب الاستقلال بالحكم دون الخليفة فكان منفذا للخلل وتفريق السلطة الممزق للملكة ومنها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاعتماد على الدخيل من العجم والترك الذين استفحل أمرهم فعجز المتوكل وغيره عن تلافي ضررهم واجتناب شرهم ومنه عزل الخلفاء وقتلهم كما فعل الرشيد بالبرامكة حين استبدوا بالاحكام وكادوا يتفردون بالسلطة ومنها اهمالهم أمر ممالكهم الغربية ولاسيما في افريقيا وارخاؤهم العنان فيها للاغلبية كاهمالهم أمر بلاد الاناضول حتى تمكن التتار منها . ولو ساروا بالخلافة على منهاجها الشرعي لقيدوا انفسهم بالشورى حتى تحفظ لهم سيادتهم بحفظ سيادة الامة وقوتها. وأين منصب الخلافة من الاستبداد والانفراد بالاحكام الذي كانوا يتوارثونه بقوة العصبية التي تقلد الخلافة للجهلاء كالمعتصم الى غير ذلك من اطلاق التصرف الذي سوغ لهم الاسراف في مال المسلمين وصرفه في الشهوات؟؟ ومكن المتوكل من حرق وزيره وتسليط الوحوش على داره واعداده المأدبة لرجال حكومته وقتله اياهم. فأين المسلمون يومئذ من المسلمين في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه وأين هذا الاستعباد والرضى بالضيم من تلك الحرية والعزة؟. أين هذا التفريط في الاخذ على ايدي الحاكمين من الافراط المؤدي الى قتل الخليفة لأن بعض عماله كانوا ظالمين ولم يعجل بالانتقام منهم مع انه قال على المنبر : أمهلوني لامركم تبع. لاجرم ان التفريط شر من الافراط لان الافراط فيه الكمال المطلوب وزيادة واعتبر ذلك في السخي المبذر والشجاع المتهور وفي ضدهما تلقه واضحا جليا فان الشحيح المقتر يذهب امساكه بفائدة المال حتى كانه معدوم والجبان الهلوع ينتهك عرضه ويجني على حقيقته وهو واجم مستكين وهذا التفريط في الامم مطوح لها في مهاوي العدم وان شئت مثالا الافراط والتفريط في الحرية من حيث الاخذ على أيدي الحاكمين أو العبودية لهم

فارم ببصرك الى الامة الفرنسية والامة العثمانية يتضح لك المراد وتهتدي الى سبيل الرشاد، ومما شرحناه تفهم السر في قوله صلى الله عليه وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية» فان العصبية الجنسية (أي النسبية) التي أراد محوها وجعل النفوذ للامة كلها في ضمن دائرة الشريعة هي التي فعلت بالمسلمين تلك الافاعيل وأول من عمل على قلع المبدأ الديمقراطي الذي جاء به الاسلام بصورة معتدلة هم الامويون وجرى العباسيون من بعدهم على آثارهم حتى عاد لامراء المسلمين وملوكهم الاستبداد الآسيوي على أشده والعصبية النسبية على أتمها ولم يبق من المساواة التي جاء بها الاسلام الا العدل في القضاء والامن العام في غير أيام الفتن التي كانت مهب رياحها من قبل طلاب الملك أو الدعاة الى المذاهب، وكان أهل الذمة يرتعون في بحبوحة الراحة ويتفيأون ظل الامان الكامل لبعدهم عن مثار النزاع والشقاق

هذا مجمل خبر الخلفاء العباسيين، بدأ في سلطتهم الخلل من زمن أعظمهم دولة وعلما (المأمون) واستفحل بعد ذلك حتى آل الى استبداد مواليهم عليهم كما علمت ثم الى مشاركة السلاطين لهم في ذكر أسمائهم في الخطبة ثم الى قناعتهم باسم الخليفة مع فقد السلطة بالكلية (انظر الى غرور الشرقيين كيف يقنعون بلقب ضخم لم يمسهم شيء من حقيقة معناه) ولو قام بوظيفة الخلافة واحد منهم حق القيام لجمع الكلمة على مذهب واحد وعقيدة واحدة وقيد السلطة وحقق معنى الشورى لما تمزقت السلطة وتضعضع الدين وأضعف الامة ضعفا مكّن سيوف جالية التتار من رقابهم من غير ما مقاومة، كان التتاري يقول للرجل اعطني سيفك ونم لا ذبحك فيفعل، واتفق

ان أحدهم ذبح مئة رجل في مكان واحد وهم ينظرون اليه يذبح الواحد بعد الآخر ولا يعدو عليه منهم أحد !! هكذا هدم أولئك الرؤساء أركان السيادة الاسلامية بهدم التعاليم الحكيمة التي جاءت بها الشريعة واتبعها الخلفاء الراشدون فحق للامة ان تقول فيهم «ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » (لها بقية)

الجرائد

(وظائف أصحابها)

حالها في الشرق والغرب

لأصحاب الجرائد ثلاث وظائف لم تجتمع لطبقة من طبقات الناس وهي التعليم العام والخطابة العامة والاحتساب (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وموضوع تعليمهم وارشادهم وأمرهم ونهيهم الامة حاكمها ومحكوميها عالمها وجاهلها صانعها وزارعها وتاجرها . فهم الذين ينهجون للساسة طرق السياسة المثلى، وينصبون لهم الاعلام والصُّوى، كيلا يضلوا في مجاهلها ويقتالوا في معاميها واغفالها، وهم الذين يبينون للقضاة والحكام خفايا القضايا وحقائق الواقعات مقرونة بما ينطبق عليها من أحكام الشرائع والقوانين ، وهم الذين يصحبون أمراء العساكر في اقامتهم ويرافقون قواد الجيوش في غزواتهم فيشرحون لهم في الحل والترحال حال جنودهم وما يلزمها ويكونون لهم عيونا يتجسسون لهم أخبار أعدائهم ويطلعونهم على خفايا أعمالهم ويرسمون لهم «خرائط» البلاد التي يطرقونها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويصورون لهم طرقها ومضايقها وموارد المياه فيها فالملوك والسلاطين والقضاة والحكام والامراء والقواد في حاجة اليهم يقتبسون من علومهم ويغترفون من عيالهم (بحارهم)

وهم الذين يرشدون الاساتذة والمعلمين الي طرق التعليم القريبة وأساليب البحث المفيدة ويوصلون اليهم ما اهتدى اليه أبناء صنفهم من الاستنباطات الحديثة والاكتشافات الجديدة وينتقدون مصنفاتهم فيظهرون غثها من سمينها ويميزون بين فاسدها وصحيحها فيساعدونهم بذلك على تمحيص الحقائق واظهار الدقائق فالعلماء والاساتذة تلامذتهم والمؤلفون عيال عليهم . وشأنهم مع الزراع والصناع والتجار كشأنهم مع الامراء والحكام والعلماء سواء بسواء

وهم الذين يهدون الآباء والامهات والقائمين على التربية الى فضائل الاخلاق وكرائم السجايا وكيفية طبع النفوس عليها لتكون ملكات راسخة كما يهدونهم الى كيفية التوقي من الصفات الذميمة والاحتراز من غوائلها والتملص من حبائلها فهم أساتذة الامة في مجموعها وأصنافها وأفرادها وهم الوصلة فيما بين الهيئة الحاكمة والهيأة المحكومة لها يبينون لكل فريق الحقوق التي له والواجبات التي عليه بأزاء الفريق الآخر فصناعتهم أشرف الصناعات وعملهم أفضل الاعمال

يتسع نطاق هذه الصناعة في الامم باتساع عمرانها ورواج أسواق العلوم والمعارف فيها وذلك ما نشاهده في الممالك الغربية ، اتسع نطاق الصحافة فيها حتى صار لكل صناعة ولكل فن جرائد مخصوصة لا تبحث الا فيها وفيما هو من لوازمها ، وبديهي ان جريدة تقصر ابحاثها على

www.al-maktabeh.net

موضوع واحد لا بد أن تبلغ منه غاية لا يمكن أن تبلغها مع تعدد المواضيع وكثرة الابحاث المختلفة ومن هنا يتجلى ان هذه الصناعة في الشرق أصعب منها في الغرب . ولو فرض ان القائمين عليها أكفاء وفي درجة واحدة في الانشاء والتحرير والمعارف ومع ان البعد بين أصحاب الجرائد في الخافقين كالبعد بين أممها في العلوم والفنون . ترى هذه الصناعة عند الغربيين تزداد ترقيا واتقانا عاما عن عام حتى عزموا في هذه الايام على أن يجعلوا لمن يتصدى لانشاء الجرائد دراسة مخصوصة حتى اذا ما أتمها وأخذ الشهادة المدرسية بها يؤذن له بالتصدي لهذا العمل العظيم

هذه أشارة الى ما عند القوم في ترقي هذه الصناعة وأما عندنا فهي كما قيل

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

في بلاد الدولة العلية لا يعطى الامتياز الا لقوم يشترط أن يكونوا في سن مخصوصة وعلى مقدرة مالية مخصوصة وسيرة أدبية معلومة وهي شرائط يحسن مراعاتها وان كانت غير كافية إلا ان المصيبة في سيرة القائمين على تنفيذ القانون فانهم لا يعجزهم جعل المستحق غير مستحق وحرمانه من امتياز الجريدة اذا طلبه واعطاؤه لغير المستحق له! فالشروط هناك ترجع الى شرط واحد وهو بذل الدراهم والدنانير ولهم أعذار في رد طلب من يمسك يده عنهم بعضها له شبهة قانونية وبعضها لا ينطبق على عقل ولا قانون ولكنهم ليسوا بمسؤلين ، ومن غريب هذه الاعذار ما وقع لمدير جريدتنا فانه طلب امتياز مطبعة وجريدة تسمي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« الفيحاء » في طرابلس الشام وبعد استيفاء المعاملات القانونية لدى حكومة طرابلس أعطي مضبطة من مجلس ادارة اللواء بأنه مستحق للامتياز قانوناً وقد أخذت عليه العهود اللازمة ورفعت أوراقه لوالي بيروت لاجل اعطائه امراً بما تقتضيه المضبطة ليرفع الجميع الى الاستانة العلية فتربص الوالي بالامر مدة طويلة لم يرفي غضونها الحاحا بالطلب ...

ثم بعد ذلك أجاب بأن اعطاء امتياز بالمطبعة لا مانع منه وأما الامتياز بالجريدة فهو غير جائز ! « لان طرابلس فيها جريدة فاذا صار فيها جريدة ثانية يتعب المراقب لتلك الجريدة (السنسور) حيث يصير مكلفا بمراقبة جريدتين !! » وهكذا اقتضت رحمة عطوفتلو رشيدبك وشفقته على المراقب الطرابلسي ان يحرم الطالب من نيل رغيبته وهو نسيب المراقب فياليت هذه الرحمة كانت عامة من عطوفة الوالي لجميع الرعية ولقد كان هذا الافراط في الرحمة على رجل واحد مدعاة الاستغراب من جميع الذين سمعوا العذر واختلفوا في العلة الحقيقية فقال بعضهم انها تقصير طالب الامتياز وعدم ارضاء الوالي ! وقال آخرون ان صاحب جريدة طرابلس قد شق عليه وجود جريدة مزاحمة لجريدته في بلده فاتخذ الوسائل التي لا ترد عند عطوفة الوالي لمنع اجابة الطلب ، وعلى ذلك فقس

وأما في مصر فقد أهملت بالنسبة للمطبوعات القوانين وصار الناس فيها فوضى فهجم على انشاء الجرائد من ليس في المسير ولا في النفير فصار كالعرض المباح لكل أحد ، ولا شك في انه شر من العرض الذي يباع ويستأجر لان الاخير لا يخلو من بعض الصون والعزة ، والتفاوت

بهذا الاعتبار لا ينافي ترقي بعض الجرائد في مصر عن الجرائد في سوريا وفي الاستانة عموما ولذلك سببان أولهما ان شدة الضغط هنالك على المطبوعات عامة وعلى الجرائد خاصة واحتياج طالب امتياز الجريدة الى ارتكاب جريمة الرشوة يصرف أفاضل الناس عن الاقدام على هذا الامر فيبقى في غير أهله، وثانيهما ان فقد الحرية والاغراق في المراقبة والاخذ على الايدي والاكراه على مدح المذموم وذم الممدوح من شأنه افساد الاخلاق واضعاف الاستعداد والهبوط بالمعارف والفضائل الى أسفل درك الانحطاط، وأنى ينمو علم من هو مضطر الى كتمانه والعلم — كما قال سلفنا — لا يزكو الا بالانفاق ؟ وكيف تبقى فضيلة من هو مجبر على الكذب والنفاق مع ان العمل هو الذي يطبع الملكات في النفوس؟ واننا نعلم أن بعض من ابتلوا بهذه الصناعة (وأكثرهم ابتلي بها قبل هذا الضغط الشديد) أصحاب فضائل وهم يجاهدون أنفسهم ويودون التملص من هذا البلاء ولقد حاول صاحب جريدة الثمرات الفاضل ترك جريدته اكثر من مرة ولكن كان يلزمه بالصبر والثبات بعض أفاضل القارئين لها، وأشهد أنها أقرب الجرائد السورية الى الصدق وأبعدها عن التملق والنفاق ولقد عهد في ادارتها وكتابتها أخيراً الى من لم يخرج بها عن خطتها الاولى من التحري بقدر الامكان

هذا بعض نتائج الضغط وفقد الحرية ولا يقل عنه الافراط في الحرية فخير الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم. ان اهمال أمر المطبوعات في مصر وترك الناس وشؤونهم فيها قد جاء بنتائج خسيسة منها تهجم السفهاء على أصحاب المقامات الرفيعة بحق وبغير حق

ونشر الكلام المخل بالاداب والمضلل للافكار حتى ارتفعت الثقة من كل جريدة تحدث مالم يكن لها عون وظهير من وجهاء البلاد . والنفور على أشده من الجرائد السياسية وعسى ان يكون عن ترق في الفكر فيدعو الى الاعراض عما لا ينبغي والاقبال على ما ينبغي

تردد بعض الجرائد الشكوى وتظهر التبرم من الحكومة لانها حكمت على الكثيرين من أصحاب الجرائد في الدعاوي التي أقيمت عليهم ولم تراع حقوق هذا المنصب الشريف الذي هو ارشاد الامم وهداية الشعوب ولم تحفظ كرامة أصحابه . والصواب ان الحكومة المصرية مقصرة في تربية أصحاب الجرائد الذين نطفل أكثرهم على هذا المنصب الشريف على غير استعداد فصيروه خسيساً فهم أهل غواية واغواء لا أهل هداية وارشاد . جعلوا الجرائد سبابة شتامة كذابة أفاكة مذاعة خداعة يشترون بهذه الرذائل ثمنا قليلا . حتى صارت الجرائد العربية محتقرة مرذولة، قال بعض الظرفاء الاذكياء ان أصحاب الجرائد والمشتركين بها يصدق عليهم قوله تعالى (سماعون للكذب أكالون للسحت) الاول للأواخر والآخر للأوائل . وقال صاحب السعادة مصطفى ذهني باشا متصرف بولي « في ولاية قسطموني » عند ما كان متصرفا في طرابلس الشام: ان الله تعالى يكره لنا الاشتراك في الجرائد وابتياعها بدليل حديث البخاري الشريف « ويكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال » وهذه المكروهات الثلاث تجتمع في الجرائد . ولكن اضاعة المشترك المال وأكل صاحب الجريدة السحت قد قل كل منهما في هذا الوقت

فانا نرى أكثر الجرائد تشكو من مماطلة المشتركين وليهم في الدفع وان كانوا واجدين

فنسأل الحكومة المصرية مع السائلين ان تتلافى هذه الفوضى في المطبوعات وتضع لها قانونا عادلا يوقف القائمين عليها عند حدودها ويغل أيدي العابثين الذين شوهوا وجهها ومثلوا بها شر تمثيل فلا يليق بحكومة قانونية ان تترك أهم المصالح الوطنية وأشرفها العوبة للاعبين وسخرية للساخرين وان وقعت الامة من ذلك في ضلال مبين

تقويم الافكار

« لحضرة الفاضل حموده افندي (بك) عبده المحامي »

ان جهل الناس بكنه الحقائق لما يقودهم الى التخبط في السير والعماية في الافعال ويؤدي بهم الى الانقلاب في الاحوال والارتباك في الافكار وبقدر ما يفيد معرفة الحقيقة في الناس تعظم أهميتها ويكون الجهل بها من أشد الاضرار على الافراد ومن أقوى عوامل الانحطاط . لهذا كان من اللازم على كل أمة ناشئة أن تجعل من أهم واجباتها تبيان الحقائق خصوصا ما كان منها متعلقا بالنظام . والجرائد بما لها من الانتشار وتعميمها الجهات المختلفة والاصقاع المتباعدة هي التي تقوم ببث تلك الحقائق وكشف الغموض عنها ولا سيما وان الناس يألفون مطالعتها وتشتاق نفوسهم الى تلاوتها ولا فرق في ذلك بين العامة منهم والخواص وهذه هي حكمة انشاء الجرائد في الامم بيد أنه يلزم أن يكون القائمون بأمرها من أحسن الناس سيرة في الاخلاق والصفات وأوسعهم اطلاعا في المعارف والمعلومات وأن يكونوا أكثر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس اختباراً بأحوال الامم وأطوارها هذا مع قوة في التعبير وبلاغة في التحرير حتى يكون لكلامهم أثر في النفوس وسطوة على الارواح فأرباب الجرائد في الحقيقة وعاظ الامة ومرشدوها الى مايلزمها وما تحتاج اليه من آداب واصلاح حال ، أما اذا تقلد بالامر في الجرائد قوم سفهاء جهلاء فانهم يقودون الامة الى مهاوي الجهالة ويثبتون فيها عوامل الفساد والسفاهة ويكونون أشد نكبة على الناس فان العامة ببركة ماطبعوا عليه من السذاجة في الطباع يعتقدون ان مايقال في الجرائد هو حق مهما تنكر على نفوسهم، وانه صواب مهما كان خطؤه ثابتاً في قلوبهم، لهذا كان ماينشر فيها من الباطل يظنونه حقا وتتغير في عقولهم معالم الحقائق ويتخبط في خيالهم صور اليقين ويصبحون لا يصيرهم غير التضليل والتمويه . فالواجب على الامة التي تطلب ارتقاء ان يكون لمطبوعاتها قانون يوقف كل فرد عند حده وتحجر على المتطفلين على موائد التحرير أن يخطوا خطأ واحدا وتعاقب بأشد العقوبات من اقترف جناية التحرير اذا كان من غير أهلها فان الجناية على الاخلاق لأشد مفسدة منها على الاجسام .

ما أحوج بلادنا اليوم الى مثل هذا القانون فان الفساد الذي ظهر في أخلاق أمتنا هذه الاعوام سببه اطلاق السراح لبعض السفهاء في إنشاء الجرائد لكسب الدراهم وأصبح الفقير اللئيم الذي لا حيلة له في نيل معيشته يستعملها لجلب قوته فهو يهجو ويهذي ويهتك الاعراض ويقدح في الاديان لجلب القرش والدينار. فمثل هؤلاء الانذال يجب قطع دابرهم واستئصال شأفتهم وابعادهم عن الاوطان كي لا يضلوا الناس ويفسدوا الطباع . أين مقام هذه الجرائد السافلة من مقام الجرائد الحقيقية التي تدعو الناس الى التمسك بالفضائل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتنبيههم الى ترك الرذائل وترشدهم الى استقامة الطباع والتمسك بالاداب وتهديهم الى اصلاح الاحوال وتنوير الافكار؟ هذه هي الجرائد التي يجب ان تنتشر بين أفراد الامة لتجني ثمارها وتنتفع بآرائها وتعمل على هداها

في بلادنا ثلاث حقائق عامة هي الوطنية والحرية والسياسية قد اختلفت فيها افهام الناس وتغيرت مثلها في الخيالات وما علموا الى اليوم ماهياتها اللهم الا اذا كانوا من الخواص والمتعلمين وهذا جزء في الامة قليل وكان على أصحاب الجرائد الصادقة اللهجة ان يجملوا تبيانها للناس نصب أقلامهم حتى يقف الناس على مفهوماتها تمام الوقوف ولا يضلوا عن مبانيها ولا ينحرفوا في العمل عن جادتها

فحقيقة الوطنية هي أن يحب الانسان وطنه وبني جنسه الى حد يحمله على تفضيل فوائدهما على منافعه الشخصية فالوطني هو الذي يجاهد بنفسه في اتيان مايفيد الوطن وأهله وقد تغيرت حقيقة الوطنية في أذهان بعض الناس وتشكلت بصور مختلفة. يعتقد بعض الناس أن الوطنية هي عبارة عن ألفاظ وأقوال لايخرج مؤداها عن دائرة افواههم فاذا دعوا الى عمل يفيد الوطن وكان القيام باعبائه يمس دراهمهم قالوا انما نحن فقراء والله يتولى غنى الناس!! وان دعوتهم الى سعي مبرور يعود بالفائدة على افراد ملتهم ودينهم أطلقوا ألسنتهم على من طلب السعي له وقالوا انه غير جدير بالمساعدة ولا مستحق لها !! هم خامدة وقلوب محشوة بالحقد والنفرة لبني جنسهم وأميال لاتلوي على شيء فيه نفع لبني جلدتهم ومع هذا يدعون انهم الوطنيون وغيرهم المنافقون! أليس هذا من أشنع الجهل وأشد العار ؟ هل هؤلاء فهموا معنى الوطنية ؟ كلا فان المعرفة الكاملة بالشيء تؤدي الى تشبع الذهن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

به ومتى صار كذلك أصبح عقيدة راسخة تؤثر في حركات الجسم والحواس فتجري الاميال على ماتقتضيه تلك العقيدة وان ادعوا أنهم فهموا معنى الوطنية وعملوا بضدما يفهمون وقعوا فى شر ماهم فيه لانهم حينئذ يسمون منافقين وتكون أقوالهم وألفاظهم آلة لتنبه الناس الى انهم وطنيون وهم فى الحقيقة مموهون . وبعض الناس يعتقد ان الوطنية يكفي فيها تأليف جمعية يبثون فيها الافكار ويذكرون عن الوطن شيئا وعن الاداب أشياء ثم هم لا يلبثون أن تنحل رابطتهم ويتفرق شملهم وهؤلاء وان كانوا يعملون شيئا مفيدا الاان انحلالهم سريع وهم في الغالب غير أكفاء للقيام بأمر الجمعيات فان هذه تستلزم شروطا لا تتوفر الا في أكابر الامة وعظمائها ، والقائمون بأمرها يلزم ان يكون لهم مادة غزيرة فى العلوم والاداب وصناعة فى الخطابة والالقاء وأصحاب جمعياتنا ليسوا من هذه الطبقة ، ولا أتعرض في كلامي الى الجمعية الخيرية الاسلامية فانها جمعية خارجة عن موضوع كلامي بمقتضى موضوعها فان موضوعها مادي خيري وحضرات الاعضاء من كبار الامة وعظمائها لا يوجه اليهم طعن ولا يجوز عليهم لوم وانا ندعو الله أن تدوم الى ماشاء الله

فالوطنية على ماقدمنا هي ان يكون الشخص غيورا على بني جنسه محبا لخيرهم معينا لهم يسعى في تقدمهم كما يسعى لنفسه ويرقي في شؤونهم كما يتمنى لاهله ومتى جمعت هذه الصفات وما شابهها في شخص عد وطنيا كاملا مفيدا لوطنه

الحقيقة الثانية هي الحرية — يعتقد العامة ان الحرية هي إتيان الموبقات جهاراً وان هذا كمال من الكمالات الاوربية التي يجب ان يتحلوا بها لهذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترى كثيراً من الآداب التي كانت قبل شيوع هـذا اللفظ قد انتهكت حرمتها وأصبح فساد الطباع عاماً في أخلاقهم وأصبح هذا المعنى عقيدة من عقائدهم وقوي في أذهانهم، وكم جر هذا الى نقض الآداب وأدى الى فقد رأس الخصال البشرية اللازمة للهيئة الاجتماعية ونظام الانسانية وهو خصلة الحياء ولو علموا ان الحرية هي تخويل الشخص الاختيار في أداء ماله وما عليه ليس الا لبدل فساد الطباع بالارتقاء في المـدارك وكانت الآداب اليوم راقية أوجها الاسمى، وطهارة الاخلاق مطمئنة في برجها الاعلى ، وكانت الناس في سعادة بدل هذا الشقاء . فترى من ذلك ان جهل الناس ببعض الحقائق أدى بهم الى الاعوجاج في الطباع والانقلاب في الاخلاق وضياع الاداب فلو قامت الجرائد الصادقة اللهجة تذكر الناس بما طرأ عليهم وتنصحهم بتبيان المعاني التي جهلوها وأفسدت أحوالهم حتى يقفوا على الحقيقة لـكان خيراً للناس وأفيد مما يسمعونه ويتلى عليهم نعوذ بالله من الغواية ونسأله الهداية ، وسيأتي الكلام على معنى السياسة ان شاء الله

أدبيات

نظم كثير من الشعراء أبياتا من كل بحر من بحور الشعر ضبطوا بها الاوزان بعروضها مع الاشارة الى اسمائها ومنهم من جاء فيها بالاقتباس وقد رأينا في مجلة المقتطف المفيدة تقريظ كتاب في النحو لاحد علماء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الالمان ختمه بالكلام في العروض وقرض الشعر وأورد ابياتا في ضبط موازين الشعر مزينة بالاقتباس فأحيينا تفكيه قراء المنار بها وهي:

الطويل

طويل مدى الهجران من كنت أهواه أذاب فؤادي والتصبر أفناه
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ولا تقتلو النفس التي حرم الله

الكامل

يا كاملا سلم وقل تعظيما للمجتبي خير الورى تسليما
متفاعلن متفاعلن متفاعلن صلوا عليه وسلموا تسليما

الوافر

أوافر كيد شعري في مزيد على رغم الاعادي والحسود
مفاعلتن مفاعلتن فعولن ألا بعدا لعاد قوم هود

الهزج

هزجتم يا منى النفس عن الاوطان بالانس
مفاعيلن مفاعيلن كأن لم تغن بالامس

المديد

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن يالبكر انشروا لي كليا

البسيط

يبسط في أملي اني أراهنهم خوفاً من الجور لما ان أعاينهم
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم

الرجز

الرجز الموزون اذ يقدر أجزاؤه بين الورى لا تنكر
مستفعلن مستفعلن مستفعلن يا أيها الذين آمنوا اصبروا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرمل

رمل أكرم به من رمل لذة للمختفي والمجتلي
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن والذي أطمع أن يغفر لي

السريع

سريع بحر قد سداه الحكيم كرر على سمعي به يا نديم
مستفعلن مستفعلن فاعلن ذلك تقدير العزيز العليم

المنسرح

منسرح الشعر صاغه الاوَل ممن تراهم عن الهوى نكلوا
مستفعلن فاعلات مستفعلن بدالهم سيئات ما عملوا

الخفيف

خف لما أردت أشدو الخفيفا لذ في مسمعي فكان طريفا
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ان كيد الشيطان كان ضعيفا

المقتضب

اقتضبه حين حبا فن معشر الادبا
فاعلات مستفعلن ماله وما كسبا

المجتث

مجتث شعري ألتى في القلب مني عشقا
مستفعلن فاعلاتن والله خير وأبقى

المتقارب

تقارب موعد جمع العصاة فيا أيها الناس أدوا الصلاة
فعولن فعولن فعول أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة

وقد نبه المقتطف على بعض ما وقع في الكتاب من السهو أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغلط فقال : «جاء في تفعيل المنسرح انه مستفعلن فاعلات مستفعلن والصواب مستفعلن فاعلات مفتعلن . وكذلك في تفعيل المقتضب انه فاعلات مستفعلن والصواب فاعلات مفتعلن . وفي تفعيل المتقارب انه فعولن فعولن فعولن فعول والصواب فعولن مكررة أربع مرات» وفي هذا الانتقاد على اطلاقه مقال سنذكره في العدد الآتي ان شاء الله تعالى . ولا تخلو الابيات من تحريفات لم ينبه عليها

شذرات علمية

يؤخذ من الاحصاآت الاخيرة ان عدد لغات البشر وفي جملتها اللهجات المتقاربة ٢٧٥ لغة

يقول أحد علماء الالمان ان دماغ الانسان مؤلف من ثلاث مئة مليون حويصلة عصبية

تنفق انكلترا على جنودها براً وبحراً ٦٣٠٠٠٠٠٠ جنيه وتنفق فرنسا ٣٦٠٣٨٧٠٠٠ جنيه وألمانيا ٣٥٠٢٢٦٠٠٠ وروسيا ٣٨٠٥٦٩٠٠٠

يقدرون مساحة مملكة الانكليز في العالم بنحو ١١٠٠٠٠٠٠٠٠ ميل مربع وهي تشغل خمس اليبس وسكانها خمس سكان الارض وفيها ١٠٠٠٠ جزيرة و ٢٠٠٠٠ نهر وتحتوي على خمس ماشية الارض وواحد من اثني عشر من خيولها

(عوالم الميكروب) لا شيء يمثل عظمة الخالق كالتأمل في عالم الميكروب فان كثرته تكاد تفوق التصديق ومن غرائب ذلك انك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اذا جمعت من تلك الاحياء ما وزنه ١٠٠٠ من (أو جزء من خمسين من القمحة) لبلغ عددها خمسة أضعاف عدد سكان الارض

(وزن الميكروب ومساحته) اتصل الدكتور كلاين في انكلترا الى تقدير وزن الميكروب وهو الحيوين الصغير المشهور فوجد ان كل ... ١٢٧ منه تزن غراما واحداً وقدر أيضاً مساحته فوجد أن كل ... منه لو رتبت محاذية لشغلت مساحة بقدر مساحة طابع البريد (الهلال)

كريت

تم جلاء الجنود العثمانية عن خانيا واحتلتها الدول الاربع ورفعت عليها أعلامها مع العلم العثماني وطلب الاميرالية من اسماعيل بك الاسراع باخلاء الحصون والقلاع كلها في الجزيرة من الجنود فأجابهم انه لا بد من بقاء الالفين والخمس مئة جندي لجمع الذخائر الحربية واخراجها وهي بنادق ومدافع حصار ومدافع نحاسية ثمينة وبارود وتوربيد وقدر ثمنها بمليوني ليرة عثمانية وقد أجابت الدول طلب القيصر الروسي أن يكون البرنس جورج ابن ملك اليونان حاكما للجزيرة ولكنهم الآن يسمونه مندوبا للدول (مازلنا نخضع للالفاظ والالقاب حتى حكمت فينا شر حكم) وسواء سموه مندوبا أم وكيلا أم أجيرا أم أميرا فالمعنى واحد يفهمه كل واحد ... وطلب الاميرالية من دولهم الاذن لكريت باقتراض خمسة ملايين فرنك تعطى للاهلين مسلمين ومسيحيين لترميم بيوتهم . ولا يزال الانكليز يشنقون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المسلمين بحجة انهم هجموا على الجنود الانكليزية!! وقد أتمت الدول وضع القواعد الاساسية لحكومة الجزيرة وسيجردن المسيحيين من السلاح وانا نكتب هذه السطور والقلب يضطرب والاعضاء ترتجف والروح تناجي جبار السموات والارض بأن يهبنا حكمة وسدادا وقوة واستعدادا وصلاحا واصلاحا تحول بيننا وبين طمع الطامعين وتمنعنا من كيد الحاقدين وما ذلك على الله بعزيز

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ (*)

الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر

٣

أثبتنا في العددين السابقين مجملا من خبر الخلافة الاموية والخلافة العباسية وألمعنا الى أن عدم سير الخلفاء بهذا المنصب العظيم على منهاجه الشرعي هو الذي قوض دعائم السلطة الاسلامية ورمى المسلمين بالفشل والوهن ، وأشرنا الى تمداد الخلافة ونذكر في هذا العدد مجملا من خبر الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر وما يتبعها ونختمه بذكر الخلافة التركية فنقول

كان بعد بلاد الاندلس « اسبانيا » عن مركز الخلافة مع صعوبة المواصلات سببا في اختلال النظام ومجرئا لولاتها وحكامها على تكليف الرعية فيها فوق وسعهم وكان من ثم من القبائل الحميرية والشامية والعراقية

(*) فاتحة العدد الخامس والثلاثين الصادر في ٥ رجب سنة ١٣١٦